قصة سقوط مدينة أنطاكية

بيد الصليبيين سنة 492هـ/ 1098م

إعداد الطالب

عبد الرحمن كنجو

1439هـ/2018م

1. أوضاع المشرق العربي الإسلامي قبيل الاحتلال الصليبي:

شهد العالم الإسلامي في القرنيين الرابع والخامس الهجريين / العاشر والحادي الميلاديين مراحل ضعف وغياب لسلطة الخلافة، فما حال العالم الإسلامي قبيل الحروب الصليبية؟

في منطقة العراق كانت هناك الخلافة العباسية السنية التي دخلت في طور شديد من أطوار الضعف، وفي وسط العالم الإسلامي وغربه كانت هناك الدولة الفاطمية الشيعية التي تسيطر على مصر وبلاد الشام والجزيرة العربية.

وفي أوائل القرن الخامس الهجري ظهرت قوة جديدة على الساحة الإسلامية هي قوة الأتراك السنة القادمين من وسط آسيا، ومن أهم قبائلهم، قبيلة السلاجقة (نسبة إلى جدهم سلجوق بن دقاق) توغلت في إقليم خراسان، وشملت دولتهم مساحات واسعة من بلاد فارس وشمال العراق وأرمينيا وآسيا الصغرى.

ثم حدث تطور مهم في سنة **447هـ /1055م** عندما استنجد الخليفة العباسي القائم بأمر الله بطغرل بك لينقذه من سيطرة البويهيين الشيعية، وبالفعل دخل بغداد، ليبدأ بعدها عهد السيطرة السلجوقية على الخلافة العباسية، ولا شك أن هذا أعطى حظوة كبيرة لطغرل بك في العالم الإسلامي السني مما أدى إلى توحيد أجزاء كبيرة من العالم الإسلامي تحت سيطرته، خاصة بلاد فارس والعراق وأجزاء من الشام وآسيا الصغرى.

وكانت هجمات السلاجقة متوالية على منطقة آسيا الصغرى مما أزعج الدولة البيزنطية خاصة. وفي عهد ألب أرسلان حدثت معركة كبرى بين السلاجقة والإمبراطورية البيزنطية في سنة **463هـ /1071م** عند أعالي الفرات عُرفت بمعركة ملاذكرد، وقد بلغ تعداد جيش ألب أرسلان خمسة عشر ألف مقاتل في حين بلغ تعداد الجيش البيزنطي مائتي ألف مقاتل [1]، وتمكن السلاجقة من إلحاق الهزيمة بالبيزنطيين وأسر الإمبراطور رومانوس الرابع [2]، وكان من أهم نتائج هذه المعركة زيادة نفوذ السلاجقة المسلمين، الذين لم يلبثوا أن أزالوا أرمنيا المسيحية واستقروا فيها [3]، وانهيار الدولة البيزنطية في منطقة آسيا

الصغرى، وأصبح عملها في حماية البوابة الشرقية لأوروبا أمرا مشكوكاً فيه مما أقلق الأوروبيين وهذا ما مهد لقيام الحروب الصليبية بعد خمسة وعشرين عاماً من معركة ملاذ كرد.

وفي عهد ملك شاه **(465-485هـ/1072-1092م)** وصلت دولة السلاجقة حتى حدود الصين شرقاً إلى بحر مرمرة غرباً ثم دخلت بعدها دولة السلاجقة في مرحلة الضعف والتشرذم، وانقسمت إلى عدة أجزاء وفي داخل كل جزء عدة انقسامات أخرى مما أعطى طابع الفرقة والتشتت " ولقد كانت شعوب الغز عبارة عن عشائر وقبائل بدوية كره أفرادها الوحدة وألفوا الفرقة وارتضوا بعدم الاستقرار لذلك استمرت الصراعات والحروب الداخلية"[4] وكان ذلك أواخر القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي وهي الفترة التي شهدت قيام الحروب الصليبية وهكذا صار ملك السلاجقة موزعاً على الصورة الآتية:

أولاً: دولة السلاجقة الكبرى: وهي التي خلفها ملك شاه وتشمل العراق وفارس وكانت لها السيطرة المباشرة على الخلافة العباسية، وكان يحكمها بركياروق الابن الأكبر لملك شاه.

ثانياً: سلاجقة الروم في آسيا الصغرى ويحكمها قلج أرسلان بن سليمان بن قتلمش وكانت هذه الإمارة تعاني من المشاكل بين الأتراك أنفسهم وسلاجقة الشام إضافة إلى وجودها إلى جوار الإمبراطورية البيزنطية العدو اللدود وهذا بالإضافة إلى التركيبة السكانية المعقدة في آسيا الصغرى من أرمن وسلاجقة وبيزنطيين.

ثالثاً: سلاجقة الشام وهم أبناء تتش بن ألب أرسلان، وهؤلاء انقسموا على أنفسهم عدة انقسامات، وفتتوا الشام إلى عدة إمارات، فصارت حلب إمارة مستقلة تحت زعامة رضوان بن تتش، ودمشق إمارة مستقلة تحت حكم دقاق بن تتش "وكان بين الأخوين رضوان ودقاق عداء شديد، وكره متبادل، وحروب ومؤامرات شلت قواهما، ومنعتهما من الاتفاق على مواجهة العدو المشترك معاً " [5]، أما فلسطين فقد كانت تحت حكم سقمان بن أرتق التركماني.

لقد كانت الدولة الفاطمية في مصر متفوقة في أسطولها البحري على السلاجقة، مما مكنها من السيطرة على موانئ الشام ولا سيما موانئ صيدا وصور وعكا وجبيل، غير أن ميناء طرابلس كان إمارة مستقلة تحت حكم ابن عمار أبي طالب وهو من الزعماء الشيعة المنشقين عن الدولة الفاطمية، فكان هذا حال المشرق العربي الإسلامي ولا سيما الشام التي ستتوجه إليها الحملات الصليبية.

2. الحملة الصليبية الأولى والبيزنطيين:

قبل الحملة الصليبية الأولى لابد أن نتعرف على نشوء مدينة أنطاكية موضوع بحثنا وأهمية موقعها وأهم أحداثها، تقع المدينة على أول طريق الشام للقادمين من آسيا الصغرى وهذا ما يجعل سقوطها سقوط مدن الشام أجمع.

أنطاكية مدينة داخلية غير ساحلية إلا أنها على مقربة جداً من البحر المتوسط وموانئ السويدية واللاذقية، وهو ما يجعل وصول المؤن إليها بحراً أمراً ممكناً، وكان قد بدأ تاريخها عام **330ق.م** عندما تأسست على يد سلوقس الأول أحد قادة الإسكندر المقدوني، وسرعان ما برزت المدينة كمركز للتجارة لوقوعها على طريق التجارة بين حلب وإقليم الجزيرة من ناحية، والغرب الأوروبي من ناحية أخرى، فضلاً على ما اشتهرت به من صناعات الأقمشة والسجاد والزجاج والخزف [6]، ونشاطها الزراعي لوقوعها في سهل خصيب على ضفاف العاصي، وتعد أيضاً من أحصن مدن الشام، بل أحصن مدن العالم آنذاك، لذلك لا عجب من اشتداد التنافس على امتلاكها خلال التاريخ القديم والوسيط والحديث.

وبعد أن خضعت المدينة للإمبراطورية الرومانية أصبحت عاصمة الدولة لولاية سوريا، ولعظم مكانتها كانت المدينة ثالث أكبر مدن الإمبراطورية الرومانية، وخدمت المدينة كمركز الحامية العسكرية للرومان ضد هجمات الفرسن ومن الناحية الدينية عملت المدينة مركز ديني بتأسيس كنيسة كبيرة فيها.

وشهدت المدينة ازدهاراً واسعاً في القرنين الرابع والخامس الميلاديين، إلا أن القرن السادس الميلادي شهد العديد من الأحداث المؤسفة للمدينة، ففي عام **525م** نشب حريق في المدينة، كما أنه في عام **526م** و**528م** ضرب المدينة زلزال، وفي عام **540م** خضعت المدينة للاحتلال الفارسي إلى أن استردها الروم البيزنطيون قبيل الفتح الإسلامي لبلاد الشام.

وما إن أتى عام **17هـ/637م** استطاع العرب المسلمون فتحلها صلحاً على يد أبي عبيدة بن الجراح [7]، على ثلاثمئة ألف مثقال من الذهب، استمر الحكم العربي الإسلامي للمدينة لعدة قرون إلى أن استردها البيزنطيون في عهد نقفوروس الثاني فوكاس سنة **359هـ/969م** [8]، واستخدمت مركزاً للإمبراطورية لمدة تزيد على قرن إلى أن استولى عليها الأتراك السلاجقة سنة **477هـ/ 1084م**، وفي سنة **484هـ/ 1090م** "جاءت بالشام زلزلة، خربت سور أنطاكية وكنائسها" [9].

وفي سنة **492هـ/ 1098م** وبعد حصار طويل استولى الصليبيون بقيادة بوهيموند النورماندي على المدينة وأسسوا فيها ثاني إمارتهم وهي إمارة أنطاكية التي دامت إلى سنة **667هـ/1268م** عندما قضى عليها المسلمون في عصر دولة المماليك بقيادة الظاهر بيبرس [10].

وقد اتفق معظم الباحثين على تعريف الحروب الصليبية، بأنها حركة ظهرت في الغرب الأوروبي في العصور الوسطى، نتيجة الأوضاع الدينية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية، واتخذت شكل هجوم عسكري استيطاني على بلاد المسلمين عامة وبلاد الشام خاصة بهدف امتلاكها [11].

ولا يخفى على أحد أن اصطدام المسلمين بالصليبيين عامة والنورمان خاصة كان قبل هذا التاريخ ويرجع ذلك إلى أن الحروب الصليبية قد بدأت في الجزء الغربي من العالم الإسلامي قبل بداياتها في الجزء الشرقي من العالم الإسلامي، حيث جمع روبرت جوسيكارد النورماندي وأخيه روجار قواتهما وهاجما جزيرة صقيلية سنة **452هـ/1060م**

بمباركة البابوية [12]، إلى أن سقطت الجزيرة فريسة سائغة لهجمات النورمان سنة **484هـ/1091م**[13] فكانت صقلية الشهيدة الأولى التي ذهبت ضحية الإهمال والانقسام والتخاذل، وكذلك الأمر في الأندلس التي كانت تعاني من التمزق والانقسام في عصر ملوك الطوائف مما دفع الصليبيين لشن الحروب ضد الأندلس " وكان خروجهم أولاً بالمغرب، فخرجوا إلى بلاد الإسلام واستولوا عليها ..... وملكوا جزيرة صقلية في سنة أربع وثمانين وأربعمئة، وتطرقوا إلى أطراف أفريقيا فملكوها" [14].

أما في الجزء الشرقي من العالم الإسلامي فقد بدأت الحروب بعد هزيمة الإمبراطورية البيزنطية أمام السلاجقة في معركة ملاذكرد **463هـ/1071م** التي نتج عنها انحسار سيطرة الإمبراطورية البيزنطية عن أجزاء كبيرة من آسيا الصغرى، وتأسيس دولة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، فاتجهت الإمبراطورية البيزنطية إلى تسوية خلافاتها مع البابوية واستنجدت بها، فوجدت الإمبراطورية آذاناً صاغية من البابا " أوربان الثاني" الذي دعا إلى الحروب الصليبية في مجمع كليرمونت سنة **489هـ/1095م**[15]، حيث ألقى خطاباً دعا فيه الأوروبيين للحرب ضد المسلمين لانتزاع بيت المقدس ووعد من يشترك فيها بالغفران الكامل، واتخذوا شعار الصليب، واشترك في هذه الحروب أمراء الإقطاع والفرسان ورجال الدين، فقد احتشد الأمراء في شكل ثلاثة جيوش رئيسية: قاد غودفري وأخوه بلدوين جيشاً، وقاد ريموند أمير تولوز جيشاً ثانياً، مصطحباً معه أدهيمار المندوب البابوي، وخرج الجيش الثالث بقيادة بوهيموند ابن جوسيكارد مصطحباً معه آلاف النورمان من صقلية وجنوب إيطاليا [16]، وبدأوا بالتدفق على الإمبراطورية البيزنطية التي هدف إمبراطورها الكسيوس كومنين من قدوم الصليبيين تحقيق أهدافه الخاصة بالإمبراطورية وهي القضاء على تهديد السلاجقة، واسترجاع ما انتزعه السلاجقة من الإمبراطورية من أراضٍ ولا سيما أنطاكية ذات الأهمية الكبيرة للإمبراطورية البيزنطية [17].

لكن في نفس الوقت الذي كان يتشوق فيه الإمبراطور وصول هؤلاء الصليبيين لإقحامهم في حروبه ضد السلاجقة كان يتخوف منهم، لا سيما أنه يعرف " طباعهم

وأخلاقهم التي لا يمكن ضبطها، وبولعهم بالفوضى وحبهم لعدم الاستقرار، فمثلاً جشعهم للمال قادهم في أغلب الأحيان إلى نقض اتفاقاتهم دون أي مسوغ" [18].

وهذا ما يفسر لنا عدم السماح بفتح أبواب القسطنطينية للصليبيين إلا بعد تعهد زعماء الحملة الصليبية الأولى بالولاء، وتسليم كل ما يستردونه من أراضي الدولة البيزنطية المفقودة في آسيا الصغرى ما عدا الأراضي المقدسة نفسها، وذلك كله مقابل تعهد الإمبراطور بإمدادهم بالمؤن والسفن اللازمة لنقلهم إلى الشاطئ الآسيوي [19]، وكان نص القسم كما ورد في الألكسياد " ما من بلد، أو موقع أو حصن، سيكون في المستقبل من الممكن الاستيلاء عليه، وكان من قبل تعود ملكيته للإمبراطورية الرومية، سيقوم بالتخلي عنه، وتسليمه إلى الضابط المنتدب من قبل الإمبراطور" [20].

ووجه الإمبراطور نصائح لقادة الحملة وحذرهم من المخاطر الكثيرة والمعقدة التي يمكن أن تواجههم أثناء الرحلة، وأوصاهم بعدم مطاردة العدو بعيداً إذا ما أوقعوا به الهزيمة، خشية الوقوع في الكمائن التي ينصبها السلاجقة " وأعطاهم تعليمات حول الطرائق التي جرت عادات التركمان على استخدامها أثناء القتال، وعلمهم كيف يصفون صفوفهم ويعبئونها للمعركة" [21].

هذا بالنسبة لعلاقة الإمبراطورية البيزنطية مع الصليبيين بشكل عام، أما بالنسبة لعلاقتها مع النورمان وزعيمهم بوهيموند ففيها الكثير من التخاوف، ولا غرابة في ذلك لأن النورمان قد استوطنوا جنوب إيطاليا واستولوا على جزيرة صقلية، وكانت لهم حروب مع الإمبراطورية البيزنطية، ففي سنة **475هـ/1082م** انتصر القائد النورماندي روبرت جويسكارد والد بوهيموند على الإمبراطور البيزنطي في ديراكيوم واستولى عليها، واستطاع بوهيموند أن ينزل الهزيمة بالإمبراطور البيزنطي أكثر من مرة، كما استولى على عدة مراكز مهمة في ايبروس ومقدونيا [22].

وكان بوهيموند من القادة الذين شاركوا في الحملة الصليبية الأولى، وقدم يمين الولاء للإمبراطور البيزنطي [23]، الذي أغدق عليه كثيرا من الأموال، وتذكر (أنا كومينا) أن

الإمبراطور البيزنطي كان يعرف طباع ونفسية بوهيموند التي لا تعرف الرضى والاستقرار وبارعة في المكر، لذلك عندما طلب بوهيموند من الإمبراطور البيزنطي تعيينه بمنصب "دمستق الشرق" كان رد الإمبراطور " لم يحن الوقت بعد لمثل هذا، لكن مع نشاطك وإخلاصك لن تنتظر طويلاً حتى تنال الشرف" [24].

وتذكر (أنا كومينا) أسباب عدم خروج والدها مع الصليبيين متذرعة بأن " الجيش الروماني لا حول له ولا طول، صغير العدد بالمقارنة مع التعداد الهائل لحشود الفرنجة، وكان يعرف من طول التجربة كيف أنه لا يمكن الوثوق بالفرنجة لأنهم كانوا جميعاً رجالاً لا يعرفون الاستقرار، الخيانة طبع لهم" [25]، واكتفى الإمبراطور بإرسال القائد تاتيشوش وكلفه مساعدة الصليبيين وأن يتسلم منهم كل مدينة يستولوا عليها.

وفي سنة **491هـ/1097م** حاصرت القوات الصليبية والقوات البيزنطية مدينة نيقية عاصمة دولة سلاجقة الروم، وبعد استسلامها لقوات الإمبراطور البيزنطي وفي الطريق إلى أنطاكية انفصل القائد الصليبي بلدوين بقواته عن الجيش الصليبي، وكذلك فعل تنكريد (ابن أخت بوهيموند)، وتوجه الاثنان يبحثان عن فرص للمغامرة ويسعيان لتحقيق مكاسب خاصة بكل منهما، فتمكن بلدوين من الاستيلاء على الرها، وبذلك تأسست أول إمارة صليبية في المشرق (إمارة الرها الصليبية)[26]، في حين تمكن تنكريد من الاستيلاء على المصيصة والاسكندرونة [27].

في حين تابع الصليبيون سيرهم باتجاه مدينة أنطاكية، التي كانت أكثر مدن الشام تحصيناً وقوة، إذ نالت عناية البيزنطيين طوال خضوعها لهم على مدى أكثر من قرن من الزمن**359- 477هـ** / 969- **1085م**) فأضحت تشبه إلى حد بعيد مدينة القسطنطينية من حيث المنعة وقوة التحصين، إذ تحيط بها الجبال والمرتفعات العالية من جهتي الجنوب والشرق، فتجعل أمر اقتحامها عسيراً، فقد كان يحدها من جهة الغرب مجرى نهر العاصي، وتقع في شمالها أحراش ومستنقعات، فضلاً عن أن بها أربعمئة برج، وتوافر الماء بداخلها، ولها قلعة حصينة يصعب الاستيلاء عليها، لأنها ترتفع عن المدينة نحو

ألف قدم، وكان البيزنطيون قد اهتموا بتحصينها خلال حكمهم لها حتى استردها السلاجقة سنة **477هـ /1085م** [28].

وقد وصفها ياقوت الحموي في منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي فقال " وشكل البلد كنصف دائرة قطرها يتصل بالجبل، والسور يصعد مع الجبل..... فتتم الدائرة، وفي رأس الجبل داخل السور قلعة..... وللسور المحيط بها دون الجبل خمسة أبوب" [29].

3. حصار أنطاكية:

لقد كانت أنطاكية تحت حكم أحد قادة السلاجقة ويدعى ياغي سيان، فبعد أن تمكن سليمان بن قتلمش زعيم سلاجقة الروم من تحرير أنطاكية من البيزنطيين سنة **477هـ/1085م**[30]، حصل قتال بين تتش وسليمان وانتهت الحرب بمقتل سليمان سنة **478هـ/1086م**، وهكذا صارت أنطاكية من نصيب تتش، غير أن السلطان ملك شاه نزع أنطاكية من ملك أخيه تتش وأعطاها إلى ياغي سيان، وذلك سنة **479هـ/1087م**[31]، وبعد وفاة السلطان ملكشاه سنة **484هـ/1092م** أي بعد خمس سنوات من ولاية ياغي سيان على أنطاكية، لم يحدث صدام بين تتش وياغي سيان، لأن ياغي سيان استطاع بحكمته وسياسته أن يتقرب من تتش ويكسب وده [32].

ثم اشترك ياغي سيان مع تتش سنة **488هـ/1095م** في حرب بركياروق بن ملكشاه ابن أخي تتش، وبعد هزيمة تتش ومقتله، عاد ياغي سيان إلى حكم أنطاكية وتقاسم أولاد تتش أملاك أبيهم، رضوان في حلب ودقاق في دمشق [33].

أخذ كل من رضوان ودقاق يبحثان عن حلفاء لهم في الصراع الوشيك، وكان ياغي سيان حاكم أنطاكية أقوى هذه الشخصيات، ومن المرجح أنه سوف يقف إلى جانب رضوان صاحب حلب مع أنه كان على خلاف مع جناح الدولة أتابك رضوان، وهكذا أصبح ياغي سيان حليفاً قوياً لدقاق صاحب دمشق، وبدأ الصراع بين الأخوين وهاجم كل منهما أملاك الآخر، ولكن بعد حدوث خلاف بين رضوان وجناح الدولة الذي ترك حلب

واستولى على حمص بادر ياغي سيان بعرض خدماته على صاحب حلب، وأقام نفسه أتابكاً له وزوجه ابنته [34]، وهكذا خسر ياغي سيان رضا دقاق عنه، واستعان رضوان بياغي سيان للهجوم على حمص ودمشق بعد أن تحالف مع الفاطميين في مصر ضد أخيه دقاق صاحب دمشق، وفي هذا الوقت الحرج وردت الأخبار بوصول الصليبيين إلى الحدود الشمالية لبلاد الشام [35]، فقال ياغي سيان :" عودتنا إلى أنطاكية ولقاء الفرنج أولى" [36]، وهكذا تفرق الجيش بدلاً من أن يتفقوا على مواجهة العدو المشترك.

يتضح مما تقدم أن ياغي سيان كان قائداً بارعاً حسن الرأي والتدبير، هدفه الأساسي المحافظة على حكم أنطاكية، كما أن الأخيرة لم تكن صغيرة الأهمية، بل كان لها أهمية كبيرة في التحالفات والحروب التي نشبت بين أفراد الأسرة السلجوقية.

فبعد أن علم ياغي سيان بقدوم الصليبيين اتخذ جميع الاستعدادات اللازمة للدفاع عن المدينة على الصعيدين الداخلي والخارجي:

على الصعيد الداخلي: نظم العمل داخل المدينة تنظيماً دقيقاً، فرتب عمليات خروج الحامية لمقاتلة الصليبيين المحاصرين للمدينة من خارج الأسوار، وأوعز إلى حامية حارم القيام بهجمات كر وفر ضد الصليبيين [37]، وشحن المدينة بالمؤن والعتاد [38]، وحصن القلعة وأقام فيه حامية قوية.

أدرك ياغي سيان التركيبة السكانية المعقدة في أنطاكية من أرمن ويونانيين وعرب وسلاجقة ولاحظ أن السكان المسيحيين كانوا يثورن على الحاميات الإسلامية في البلاد التي يقترب منها الصليبيون، وينضمون إلى الصليبيين، ويضعون أنفسهم في خدمتهم، وهذا ما حدث في الرها من قيام الأرمن بتسليمها، ويصف صاحب أعمال الفرنجة "بلاد الأرمن فيها ظمأ شديد إلى دماء التركمان، وعطش إلى الارتواء منها" [39]، لذلك اتخذ قراراً بأن يخرج الرجال المسيحيين من أنطاكية ليكون مطمئناً على سلامة الجهة الداخلية إذا وقع الحصار [40]، ويروي ابن الأثير" لما سمع ياغي سيان بتوجههم – أي الصليبيون – إليها خاف من النصارى الذين بها، فأخرج المسلمين من أهلها ليس معهم غيرهم وأمرهم بحفر

خندق، ثم أخرج من الغد النصارى لعمل الخندق أيضاً ليس معهم مسلم، فعملوا فيه إلى العصر، فلما أرادوا دخول البلد– أي أنطاكية – منعهم وقال لهم أنطاكية لكم فهبوها لي حتى أنظر ما يكون منا ومن الفرنج، فقالوا له من يحفظ أبناءنا ونساءنا، فقال أن أخلفكم فيهم، فأمسكوا وأقاموا في عسكر الفرنج[41]، ويذكر ابن القلانسي أن ياغي سيان " قصد تحصين أنطاكية وإخراج النصارى منها" [42].

على الصعيد الخارجي: فقد أرسل[43] ياغي سيان رسائل الاستصراخ والاستنجاد إلى زعماء الإمارات الإسلامية القريبة والبعيدة، فقد أرسل ابنه شمس الدولة إلى " دقاق وطغتكين[44] في دمشق يستنجدهما، وبث كتبه إلى جناح الدولة – صاحب حمص – ووثاب بن محمود وبني كلاب، وسار محمد ابنه إلى التركمان وكربوقا وأمراء الشرق وملوكه" [45].

يلاحظ مما ذكره ابن العديم أن ياغي سيان أرسل إلى زعماء وقادة المسلمين القريبين والبعيدين ما عدا جاره رضوان صاحب، ويرجع ذلك إلى عداوته السابقة مع رضوان وخوفه من استيلاء رضوان على أنطاكيا إذا طلب النجدة منه.

وصل الصليبيون أنطاكية في **(12** ذي القعدة **490هـ / 21** تشرين الأول **1097م)**[46] وترافق وصولهم بحدوث خلاف بين الأمراء الصليبيين، فاقترح بعضهم تأجيل الحصار على أنطاكية لحلول فصل الشتاء ببداية شهر تشرين الأول ، ولكون الجيش مرهقا من حر الصيف ومن معاركه السابقة مع السلاجقة، وأيضاً بهدف وصول الدعم من الإمبراطورية البيزنطية وبعض التعزيزات التي تأخرت عن اللحاق بالصليبيين، ويذكر ريمون دي جيل " خاصة وأن الشتاء بات على الأبواب وتوزيع الجيش في الأماكن الحصينة بعدما أرهق حر الصيف، كما وقالوا: ينبغي على الجيش انتظار قوات الإمبراطورية والتعزيزات " [47].

في حين قدم بعض الأمراء وعلى رأسهم ريموند رأياً مفاده المباشرة بحصار أنطاكية ويرجع ذلك إلى تمكن الصليبيين من الانتصار على السلاجقة والاستيلاء على نيقية ،

ولأنهم وصلوا إلى أبواب أنطاكية ، وبعد المشاورات اتفق الصليبيون عل فرض الحصار، فتمركز روبرت أمير فلاندر، وروبرت أمير نولاماندیا وهيو أمير فرماند وستيفن إتيان أمير بلوابين باب بولس وباب الكلب، واتخذ بوهيموند ورجاله النورمان مواقعهم في الجهة الشمالية للمدينة، أي عند باب بولس، في حين استقر ريموند والمندوب البابوي أدهيمار ومعهما فرسان البروفانس على مقربة من باب الكلب إلى الجهة الغربية منه، وعسكر غودفري دي بوايوان في الجهة الشمالية الغربية في مواجهة باب الدوق[48].

من الملاحظ تمركز الصليبيين في الجهة الغربية الشمالية فقط ويرجع ذلك إلى وجود نهر العاصي في الغرب وعدم امتلاك الصلبيين السفن لفرض الحصار من جهة النهر لوجود الجبال [49]، ذات الانحدار الشديد في جهتي الجنوب والشرق مما جعل الأمر صعباً حصارها بالكامل، وفي الوقت نفسه استفاد المسلمون من النهر والجبال في الجنوب والشرق في تحصين أنطاكية، وهكذا فرض الصليبيون الحصار على ثلاثة أبواب باستثناء باب الجسر وباب القديس جورج لأنهما مفتوحان على النهر[50].

وقد وصل إلى ميناء السويدية على البحر المتوسط عند مصب نهر العاصي أسطول جنوي يحمل إمدادات مهمة للصليبيين[51].

ويتحدث ريمون دي جيل المشارك في الحملة الصليبية الأولى عن قوة مدينة أنطاكية وشدة تحصينها " وهي قوية إلى درجة أنها لا تخشى هجوم الآلات عليها ولا الإنسان وإن اجتمع على حصارها جميع بني البشر[52].

ويذكر أيضاً المؤرخ فولتشر أوف تشارتز المشارك في الحملة الصليبية الأولى قوة المدينة ومناعتها " وأنطاكية مدينة كبيرة جداً، وهي شديدة الحصانة، منيعة الموقع، لا يمكن لعدو الاستيلاء عليها من الخارج إذا ما توفرت فيها الأغذية والامدادات، وإذا عقد سكانها العزم على الدفاع عنها" [53].

يتضح من كلام المؤرخين صعوبة اقتحام أنطاكية لمناعة أسوارها ومتانة حصونها وأبراجها، وإلى وجود حواجز طبيعية كالجبال والنهر، لذلك عقد زعماء الحملة على فرض

الحصار وتعاهدوا "وأقسم بعضهم لبعض بعد ما رأوا مناعة المدينة وصعوبة اقتحامها، على عدم الزحزحة حتى يتاح لهم الاستيلاء عليها بالقوة أو الخديعة" [54].

بعد أن فرض الصليبيون الحصار على أنطاكية، أنشؤوا نقاطاً للحراسة وفرقاً للمراقبة على طول أسوار المدينة، فكانوا ينقلون الأخبار إلى الأمراء الصليبيين عن تحرك السلاجقة داخل المدينة، في حين أخذ قسم كبير من الصليبيين يعيثون في القرى والحقول المجاورة وينهبون ما تراه أعينهم، فعاشوا حياة الترف والملذات ويذكر ريمون دي جيل أن الصليبيين في بداية حصارهم:" كانوا لا يأكلون إلا أحسن قطع اللحم كالفخذ والأكتاف، ويحتقرون لحم الصدر، ولا يفكرون بالمرة في القمح والنبيذ" [55].

ويذكر ابن القلانسي أن الصليبين " أغاروا على أعمال لأنطاكية، وقتلوا من كان فيها وهرب من هرب منها، وجعل أهل ارتاح مثل ذلك" [56]، ويذكر ابن العديم أن الصليبيين خرجوا في " نحو ثلاثين ألف إلى أعمال المسلمين ببلد حلب، فأفسدوا ونهبوا وقتلوا من وجدوا" [57]، ويرجع ذلك إلى أن غالبية السكان من الأرمن الذين يجمعهم الرابط الديني مع الصليبيين، ولسوء معاملة بعض إمراء السلاجقة لهم.

لقد اتخذ ياغي سيان جميع الاستعدادات والإجراءات اللازمة للدفاع عن المدينة، حيث أوعز إلى حامية حارم القيام بهجمات كر وفر ضد الصليبيين المحاصرين لأنطاكية، فأوقعت حامية حارم خسائر كبيرة بالصليبيين وأدت مهمتها خير أداء، وهو ما حرض الصليبيين للقيام بهجوم انتقامي مضاد،" وهلك العديد من أعدائنا، ووقع غيرهم في الأسر ثم سيقوا إلى حيث ضربت أعناقهم أمام أبواب المدينة، مبالغة في زيادة آلام الذين بها في الداخل ونكالاً بهم" [58].

يتضح من قيام الصليبيين بقطع رؤوس حامية حارم أمام أسوار أنطاكية الرغبة في إضعاف معنويات المسلمين، وفي نفس الوقت تقوية معنويات الصليبيين لأن الحصار ربما يطول أكثر من ذلك.

عقد زعماء الحملة الصليبية اجتماعاً وقرروا تشديد الحصار على أنطاكية

" ببناء قلعة على قمة جبل مرقب كيما نأمن على أنفسنا مخاطر التركمان، وتطمئن قلوبنا فلا نعود نخشاهم" [59]، ويرجع سبب بناء الصليبيين للقلعة إلى رغبتهم في استخدامها في قصف أنطاكية والتحصن بداخلها لحماية الجنود من سهام المسلمين.

جرت بعض الاشتباكات الخفيفة بين القوات الإسلامية داخل أنطاكية والصليبيين خارجها دون الدخول في معارك حاسمة، فالصليبيون ينتظرون فرصة مواتية لدخول أنطاكية، وياغي سيان ينتظر وصول النجدات التي طلبها من قادة وإمراء المسلمين[60].

وكان الفرسان المسلمون يعتمدون في حربهم على إمطار الصليبيين بالسهام من أبراج المدينة ومن الجبال المرتفعة، ويعتمدون أيضاً على أسلوب الكر والفر، فقد كانوا يخرجون من الأبواب السرية ومن باب الجسر ويغيرون على الصليبيين ثم يعودون بسرعة ويرجع ذلك إلى أنهم "كانوا يحملون أسلحة خفيفة هي القسي، ثم كانوا يتميزون بخفة الحركة على الخيول، وكانوا من جهة أخرى يمكنهم الإسراع بالعودة عبر جسرهم"[61].

بعد حوالي ثلاثة أشهر من حصار الصليبيين لمدينة أنطاكية ومعاناتهم من برودة فصل الشتاء القاسي وقلة المؤن ونضوب الأقوات في القرى والمزارع القريبة من أنطاكية [62]، قرر أمراء الحملة الصليبية إرسال قوات بقيادة بوهيموند وروبرت كونت فلاندر إلى وادي العاصي بهدف نهب القرى والمزارع البعيدة عن أنطاكية، لتزويد المعسكر الصليبي باحتياجاته من الأقوات والماشية والمؤن.

في حين تولى قيادة المعسكر الصليبي في فترة غيابهما ريموند والمندوب البابوي أدهيمار، وكان ياغي سيان على علم بخطة خروج الصليبيين عن طريق بعض النصارى من أهل أنطاكية، فلما علمَ بخروج بوهيموند من المعسكر الصليبي، خرج بقواته من الجسر القائم على نهر العاصي، وانقض على الصليبيين على حين غرة منهم، فأثخن فيهم قتلاً وأسراً وجرحاً [63].

لكن تدخل قوات ريموند أطال مدة المعركة، فتراجع المسلمون إلى الجسر" وفي تلك الساعة اندفع فرساننا نحو الجسر لمطاردة حصان شارد، جعلوه يجري بغير فارس، وتوهم

الرجالة حين رأوا ذلك أن الفرسان يفرون فأسرعوا بالهروب أمام الهجوم التركي، وفي أثناء الاشتباك ذبح الأتراك الهاربين بلا شفقة .... ولم يكتف رجالنا عار إلقاء أسلحتهم والفرار دون الشعور بالخجل، بل أنهم قفزوا في النهر ليرتطموا بالصخور"[64].

قبيل وصول الصليبيين وفرضهم الحصار على أنطاكية أرسل ياغي سيان ابنه شمس الدولة إلى دقاق ملك دمشق يطلب الدعم والنجدة، لكن لم يستجب دقاق إلا بعد ثلاثة أشهر من بداية حصار الصليبيين لأنطاكية، ويرجع ذلك إلى حالة التشرذم والتفرق والعداء الذي انتشر بين الإمارات السلجوقية في بلاد الشام بعد وفاة تتش،
وعدم وعي زعماء الإمارات الإسلامية خطورة الاجتياح الصليبي للمشرق العربي الإسلامي وأهدافه الاستيطانية.

خرج دقاق صاحب دمشق برفقة جناح الدولة خلف بن ملاعب صاحب حمص لنجدة أنطاكية، وأثناء زحفهم نحو الشمال اشتبكوا مع قوات روبرت فلاندر عند البارة، عندما كان يبحث عن مؤن للمعسكر الصليبي الذي يعاني من نقص الإمداد، إلا أن تدخل بوهيموند في الوقت المناسب أنقذ الموقف، حيث حاول دقاق الإحاطة بالصليبيين [65]من كل الجهات ورميهم بالسهام إلا أن بوهيموند أفشل هذه الخطة، ولم يتمكن أحد الأطراف من حسم المعركة بشكل حاسم، ويروي ابن القلانسي " أنهم – أي المسلمين – قتلوا جماعة منهم"[66]، وكان ذلك في **(16** محرم **492هـ/ 31** كانون الأول **1097م)**[67]، وكان من نتائج معركة البارة:

1) فشل جهود دقاق وجناح الدولة لفك الحصار عن أنطاكية.
2) فشل حملة بوهيموند وروبرت في تأمين المؤن للمعسكر الصليبي فازداد تفاقم الأزمة في المعسكر الصليبي[68].
3) أظهرت المعركة عدم صدق رغبة الجهاد لدى دقاق وجناح الدولة، فمعركة البارة معركة ضعيفة، وكان الهدف المعلن للحملة فك الحصار لكنها لم تستطع حسم المعركة مع قسم من الجيش الصليبي.

4) أسهمت معركة البارة في إضعاف الحالة النفسية للمسلمين وفي نفس الوقت تقويتها لدى الصليبيين.

5) أظهرت هذه المعركة شجاعة بوهيموند، وهذا ما سيدفعه إلى المطالبة بأنطاكية.

6) أظهرت معركة البارة مدى خطورة الاجتياح الصليبي ولابد من التوحد وتلاشي حالة التفرق والتشرذم إذا أراد المسلمون تغيير الموقف.

إزاء استمرار فترة حصار أنطاكية لأكثر من ثلاثة أشهر، وفشل نجدة دمشق وحمص لإنقاذ أنطاكية، وتهديد الصليبين لإمارة رضوان في حلب من جهة الشمال من قبل إمارة الرها الصليبية، ومن الغرب من قبل الصليبيين المحاصرين لأنطاكية وتهديدهم لأعمال حلب، إضافة إلى اعتبار رضوان أن أنطاكية من أملاكه وأن سقوطها يعرض إمارة حلب للتهديد المباشر، استجاب رضوان لطلب النجدة الذي أرسله ياغي سيان حيث أرسل ابنه لاسترضاء رضوان وتقديم الاعتذار له عما سبق نتيجة فشل نجدة دمشق وحمص، وحاجة ياغي سيان إلى قوة رضوان العسكرية [69].

بعد أن أدرك رضوان خطورة استيلاء الصليبيين على أنطاكية، قرر الإسراع في الخروج، لكن جاء موقفه هذا متأخراً، لأن الصليبيين قد احكموا الحصار على أنطاكية.

خرج رضوان على رأس قوة عسكرية ورافقه سكمان الأرتقي صاحب ديار بكر وصهره أمير حماه وقوات من حمص، وقد تجمعت هذه القوات في حارم بعد استعادتها من الصليبيين، وكانت خطة الهجوم تقتضي أن تهاجم قوات رضوان المعسكر الصليبي المحاصر لأنطاكية وفي الوقت نفسه يهاجم ياغي سيان من داخل أنطاكية وبذلك يقع الصلبيين بين فكي كماشة رضوان من الخلف وقوات ياغي سيان من الأمام [70]" وانشطر هؤلاء البرابرة – أي القوات الإسلامية – إلى شطرين، شطر تلقانا من الأمام وشطر حاول الالتفاف حولنا، قصد تطويق قواتنا من جميع الجهات"[71].

وعندما علم بوهيموند بقدوم القوات الإسلامية باتجاه أنطاكية وضع خطة مضادة تقتضي ببقاء المشاة داخل المعسكر الصليبي للتصدي لهجمات ياغي سيان من داخل

المدينة، وأن يُسير الفرسان (حوالي 700 فارس)[72] لمواجهة القوات الإسلامية قبل وصولها إلى المعسكر الصليبي، واختار مكاناً حصيناً بين بحيرة العمق ومجرى نهر العاصي يستطيع منه أن ينقض على المسلمين عند تقدمهم لعبور الجسر[73].

وفي يوم (**4** ربيع الأول **491هـ/ 9** شباط **1098م**) [74]أضحت القوات الإسلامية على مرأى من الصليبيين الذين بادروهم بالهجوم، وجرى قتال بين الطرفين انتهى باندحار وهزيمة القوات الإسلامية " وقد استولى رجالنا على خيولهم وسواها من الغنائم، أما أولئك الذين نجوا من القتل، فقد استمروا في فرارهم"[75]، وتبعهم عسكر الفرنج إلى حارم فانهزموا إلى حلب، وغلب أهل حارم من الأرمن عليها [76].

وفي الوقت نفسه الذي كانت تجري فيه معركة حارم، هاجم ياغي سيان المعسكر الصليبي من داخل المدينة، وحدثت اشتباكات عنيفة، " خرجوا منها– أي أنطاكية– واشتبكوا معنا في قتال شديد، وكانوا يؤثرون مهاجمة المناطق الضعيفة، ولما كانوا على بينة من غياب هذين الفارسين البارعين – أي بوهيموند وروبرت – فقد عقدوا العزم على مهاجمتنا والقضاء علينا .... فقتلوا عدداً كبيراً من فرساننا ورجالتنا " [77]، وأوشك المعسكر الصليبي أن يخسر المعركة لولا وصول قوات الفرسان بقيادة بوهيموند بعد انتصارها على قوات حلب، وأدى تدخلها إلى تغيير موازين القوى، فأدرك ياغي سيان أن قوات حلب قد هزمت، ولا يستطيع بمفرده متابعة المعركة في ظل القوات الضخمة من الصليبيين بشقيها الفرسان والمشاة، فأصدر أوامره بالانسحاب إلى داخل مدينة أنطاكية [78].

ويرجع سبب هزيمة القوات الإسلامية إلى انكشاف خططهم، والخطة المضادة التي وضعها بوهيموند الذي تمكن من فرض مكان المعركة على القوات الإسلامية، ووقوعهم في ساحة ضيقة لا يستطيعون فيها الانتشار والاحاطة بالجيش الصليبي، وعدم تمكنهم من رشق الصليبيين بالنبال [79]، وكان من أهم نتائج هذه الموقعة:

1) إخفاق نجدة حلب لفك الحصار عن أنطاكية.

2) ارتفاع منزلة بعض الأمراء الصليبيين ولا سيما بوهيموند صاحب الخطة المضادة.

3) ارتفاع الروح المعنوية لدى المعسكر الصليبي وانخفاضها لدى المسلمين.
4) انكشاف خطط المسلمين في حروبهم التي تعتمد على محاصرة العدو ومن ثم رميه بالسهام مما أدى إلى انتباه الصليبيين لتلك الخطط.
5) أصبح الصليبيون قوة كبيرة في المشرق العربي الإسلامي.
6) ظهرت الحاجة إلى تدخل قوة إسلامية تتجاوز بلاد الشام والتي تمثلت بقوات كربوقا صاحب الموصل.

4 خطة بوهيموند للانفراد بأنطاكية:

عند وصول جموع الصليبيين إلى مدينة أنطاكية، كان معسكرهم يضم الجيش الصليبي المتمثل بقسميه المشاة والفرسان ورجال الدين وجموع غفيرة من النساء والأطفال، وهؤلاء جميعاً يحتاجون إلى كميات كبيرة من المؤن، لكن بعد نفاذ المؤن، أخذ قسم كبير من الصليبيين يعيثون في القرى والحقول المجاورة بهدف تأمين احتياجات المعسكر الصليبي، لكن بعد انعدام الإمدادات من البيزنطيين والغرب الأوروبي خلال فترة الحصار، وخلو الأراضي المجاورة لأنطاكية من الأقوات، ازداد البؤس والأسى نتيجة المجاعات الشديدة، حيث اضطر قسم كبير من الصليبيين إلى أكل مختلف أنواع النباتات والأعشاب وأكل لحوم الخيول والحمير والدواب وحتى الكلاب والقوارض، " بل أكثر من هذا أكل الفقراء من جلود الحيوانات وبذور الحبوب التي وجدوها في روث المواشي" [80].

وعمل الأرمن والسريان على تأمين بعض الأقوات للمعسكر الصليبي فأخذوا في " البحث بشكل دقيق عن القمح والأطعمة كي يشترونها ويبعثوا بها إلى المعسكر الذي انتشرت فيه المجاعة الشديدة "[81].

وكانت بداية الحصار في شهر تشرين الأول وهو شهر بداية فصل الشتاء في بلاد الشام، وبالإضافة إلى وقوع مدينة أنطاكية على مقربة من البحر المتوسط عرضها إلى موجات برد ووابل من الأمطار نتج عنه " وقد تمزقت خيامهم وبليت وتعفنت بسبب استمرار هطول الأمطار "[82].

موجة المجاعة، وبرودة الجو، وطول فترة الحصار أدى إلى تفاقم الأزمة في المعسكر الصليبي، وتمثل ذلك بوفاة عدد كبير من المقاتلين والعامة وإلى نشوء الفوضى بين المقاتلين، وظهور الاعتراضات هنا وهناك، كما وظهرت دعوات لفك الحصار، بل وأشد من ذلك بدأت تظهر حالة هروب من المعسكر الصليبي وكان على رأس الهاربين وليم النجار وبطرس الناسك أحد أكبر دعاة الحروب الصليبية[83].

لا شك أن هروبهما يؤكد عدم وجود البعد الديني ولا سيما عند بطرس الناسك، وهروبهما ألحق بهما الخزي والعار، وعندما كشف أمر هروبهما خاف بوهيموند أن يؤثر هروبهما على معنويات الجيش الصليبي وأمر تنكريد باللحاق بهما وإلقاء القبض عليهما، وقد تمكن تنكريد بالفعل من إلقاء القبض عليهما " فقطعا على نفسيهما العهد بالتزام بالطاعة، وأقسما له الأيمان المغلظة بأنهما سوف يعودان طواعية إلى المعسكر وأنهما سيعتذران للأمراء"[84].

ثم تخلى عن متابعة الحصار ستيفن كونت بلوا وأبحر عائداً إلى فرنسا " لقد تخلى بعض رجالنا عن حصار عظيم الشدة، بعضهم فعل ذلك بسبب الفاقة وبعضهم نتيجة الجبن، وآخرون انسحبوا خشية الموت"[85].

ويذكر ابن الأثير " فهلك أكثر الفرنج موتاً، ولو بقوا على كثرتهم التي خرجوا منها لطبقوا بلاد الإسلام"[86].

يتضح من النصين السابقين صعوبة الحصار وكثرة عدد القتلى من الصليبيين نتيجة المعارك السابقة مع المسلمين والمجاعة التي انتشرت في صفوف المعسكر الصليبي، وخوف بعض الصليبيين من المقاومة التي لقوها من المسلمين، كما يظهر عدم صدق الرغبة وإخلاص النية في القتال لدى قسم كبير من الصلبيين.

في هذه الظروف الصعبة من تاريخ الحملة الصليبية الأولى أخذ بوهيموند بالمناورة للفوز بإمارة أنطاكية بعد أن يتم الاستيلاء عليها، والأسباب التي دعت بوهيموند للتفكير في هذا الأمر تتمثل بـ:

1) حب النورمان بشكل عام وبوهيموند بشكل خاص لإنشاء مشاريع استيطانية في شمال بلاد الشام كما فعلوا في إيطاليا وصقلية.
2) أسوةً ببلدوين أحد قادة الحملة الصليبية الأولى الذي تمكن من تأسيس إمارة الرها.
3) كفاءته في القتال عندما تصدى للقوات الإسلامية القادمة من دمشق وحلب.
4) منزلته في الجيش الصليبي كونه أحد أقوى الأمراء.
5) طول مدة الحصار الذي استمر لعدة شهور.
6) سوء وضع المعسكر الصليبي الذي يعاني من المجاعة.
7) عدم مشاركة الإمبراطور البيزنطي بحصار أنطاكية واكتفائه بإرسال مندوب عنه لاستلام المدن التي سوف يتم الاستيلاء عليها.

ولتحقيق أهدافه في إنشاء إمارة للنورمان في أنطاكية بزعامته، وضع خطة على محورين اثنين:

المحور الأول: الحصول على موافقة زعماء الحملة الصلبية الأولى على منح عرش أنطاكية له حال سقوطها لذلك " هدد بالرحيل، قائلاً إن الشرف هو الذي جعله يتخذ هذا القرار، لأنه رأى رجاله وخيوله تموت من الجوع، زاد على هذا، لقد أوضح أنه رجل إمكاناته محدودة وثروته الشخصية لا تكفي لحصار طويل"[87]، " وإن عنده ارتباطات كبيرة خاصة بمملكته في إيطاليا، ومن ثم فهو سيسحب جيشه من الحصار ويقفل راجعاً إلى إيطاليا" [88].

حديث بوهيموند عن نيته بالانسحاب أدى إلى وقوع الهلع والخوف في قلوب زعماء الحملة الصليبية من ناحيتين:

الأولى: إذا أعطوا أنطاكية لبوهيموند فسوف يخسرون حصصهم في أنطاكية لاشتراكهم جميعاً في عملية الحصار الذي استنفذ قواتهم [89].

الثانية: إذا ترك بوهيموند الحصار وعاد إلى إيطاليا، فإنهم سوف يخسرون قوة بوهيموند العسكرية التي تجلت واضحة في جيشه الكبير وأيضاً خططه الحربية التي يضعها والتي

أنقذتهم عدة مرات، فتخفق الحملة الصليبية وتضيع الجهود والنكران لأرواح القتلى الذين سقطوا حتى الآن، وخسارة الأموال والأقوات التي أنفقت إلى الآن.

أدرك زعماء الحملة الصلبية أهمية كلا الموقفين، لكن اختاروا الموقف الأول وفضلوا المصلحة العامة على مصلحتهم الخاصة وعن التنازل عن حصصهم في أنطاكية، أفضل من فشل الحملة الصليبية، لذلك عملوا على استرضاء بوهيموند ووعده بأن له عرش أنطاكية حال سقوطها بيدهم.

يتضح من موقف بوهيموند وتفضيله المصلحة الخاصة التي تجلت في امتلاكه أنطاكية على المصلحة العامة للحملة الصليبية بأنه كان يدرك قيمته في المعسكر الصليبي، ولم يكن في قرارة نفسه يفكر في العودة إلى إيطاليا، فإنه ما جاء لحماية الحجيج وإنما جاء لتحقيق أطماعه الاستيطانية.

المحور الثاني: علاقة الصليبيين بالإمبراطورية البيزنطية وعلى أحقية الإمبراطور البيزنطي في امتلاك أنطاكية كونها من أملاكه السابقة، واليمين الذي أقسمه زعماء الحملة الصليبية بالتبعية للإمبراطور البيزنطي وتسليم أنطاكية له.

لقد تمثل الوجود البيزنطي في عملية حصار أنطاكية في السرية التي أرسلها الإمبراطور البيزنطي بقيادة تاتيشوش، فعمل بوهيموند على التخلص منه، وبدأ باستفزازه [90]، واستغل خبر خروج أمير الموصل كربوقا لفك الحصار عن أنطاكية، " فقد أبدع خطة شيطانية لإبعاد تاتيشوش طواعية، فقد دنا منه وقال: بودي أن أبوح لك بسر، لأني أجد نفسي مسؤولاً عن سلامتك لقد وصل تقرير مزعج جداً إلى مسامع الأمراء، بأن السلطان بعث بهؤلاء الرجال من فرسان خراسان ضدنا، بناء على طلب من الإمبراطور، ويعتقد الأمراء بصحة هذه الرواية، وهم لهذا يتآمرون لقتلك..... فاختر ما تراه مفيداً لك، وفكر بأمر حياتك وحياة رجالك"[91].

لقد وضع بوهيموند تاتيشوش في وضع صعب جداً لا يحسد عليه، فيجب عليه الآن الاختيار بين البقاء في المعسكر الصليبي والاستمرار في حصار أنطاكية وتحمل

المؤامرات ضده التي ربما تكلفه حياته أو أن ينسحب ويقفل راجعاً إلى القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية للأسباب الآتية:

1) الحفاظ على حياته وحياة رجاله لأنه يدرك قوة بوهيموند ومنزلته العالية بين الصليبيين.
2) لاشتداد المجاعة التي حلت بالمعسكر الصليبي.
3) لطول مدة الحصار.
4) لوضع الإمبراطور البيزنطي بصورة الوضع، وما يدبره بوهيموند من مؤامرات للانفراد بعرش أنطاكية.

" لذلك غادر المنطقة وركب هو ورجاله الرومان السفن الراسية في مرفأ السويدية، وأبحر إلى قبرص"[92].

وهكذا تحقق هدف بوهيموند في إبعاد الإمبراطورية البيزنطية عن أنطاكية، وبذلك فقدت الإمبراطورية البيزنطية حقها القانوني في امتلاك أنطاكية، بانسحاب قائدها تاتيشوش عن حصار أنطاكية طواعية قبل سقوطها بيد الصليبيين.

5 سقوط أنطاكية:

حينما قدم الصليبيون إلى المشرق العربي الإسلامي، كان الصراع بين الفاطميين والسلاجقة على أشده، فالفاطميون عرب والسلاجقة أتراك، والفاطميون شيعة والسلاجقة من أهل السنة المعترفين والداعمين للخلافة العباسية، وإلى جانب تخوف الفاطميين بعد توسع السلاجقة في بلاد الشام من امتداد نفوذهم على معقل الفاطميين في مصر، لكن بمجيء الصليبيين وغزوهم للمشرق العربي الإسلامي وهزيمتهم لسلاجقة الروم والشام رأت الخلافة الفاطمية متمثلة بوزيرها الأفضل بن بدر الجمالي، بصيص أمل للتخلص من السلاجقة واسترجاع جنوب

بلاد الشام، وفي الوقت نفسه إيجاد فاصل ديموغرافي بينهم وبين السلاجقة متمثل بالصليبيين، ويذكر ابن الأثير" أن أصحاب مصر من العلويين لما رأوا قوة الدولة السلجوقية وتمكنها واستيلاءها على بلاد الشام إلى غزة ولم يبق بينهم وبين مصر ولاية أخرى ..... فخافوا وأرسلوا إلى الفرنج يدعونهم إلى الخروج إلى الشام ليملكوه ويكون بينهم وبين المسلمين والله أعلم"[93].

ويذكر المؤرخ ريمون دي جيل المرافق للحملة الصليبية الأولى " وكان رسل ملك مصر موجودين لدينا ..... وتحدثوا عن الأعمال الممتازة التي يقوم بها ملكهم للمسحيين المصريين ولحجاجنا، وبناء عليه بحثنا برسلنا معهم وكلفناهم بالدخول في صلح ودي معهم "[94].

يتضح من حديث ريمون رغبة الأفضل في استغلال الرابط الديني بين المسحيين الأقباط في مصر والصليبيين إلى جانب تعهدهم بحماية الحجاج الصليبيين في بيت المقدس، وعقد حلف معهم في حربه ضد السلاجقة، فأرسل سفارة اجتمعت بزعماء الصليبيين أمام أسوار أنطاكية في (صفر **491 هـ**/ كانون الثاني **1098م**) عرضت عليهم مشروعاً للتحالف تضمن البنود الآتية:

1. ينفرد الصليبيون بحكم أنطاكية وشمالي بلاد الشام.
2. تحتفظ مصر ببيت المقدس وجنوبي بلاد الشام[95].
3. يُسمح للحجاج الصليبيين بزيارة الأماكن المقدسة في فلسطين، وتكون لهم الحرية الكاملة في أداء شعائرهم الدينية على ألا تزيد مدة اقامتهم فيها شهراً واحداً، وألا يدخلوها بسيوفهم [96].
4. يتعاون الطرفان في القضاء على السلاجقة [97].

إن تحليل بنود الاتفاق يدل على عدم فهم الفاطميين لحقيقية نوايا وأطماع الصليبيين في السيطرة على المشرق العربي الإسلامي بشكل عام وعلى بيت

المقدس بشكل خاص، وربما استندوا في موقفهم هذا إلى أن الحملة الصليبية مجرد حملة بيزنطية جديدة هدفها صد المد السلجوقي[98] الذي تغلغل في عمق الأراضي البيزنطية في آسيا الصغرى بعد معركة ملاذ كرد، أو إلى رغبة الإمبراطورية البيزنطية باستعادة أملاكها القديمة في بلاد الشام مثلما حدث في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي والسيطرة على مدينة أنطاكية لأهميتها الدينية والاستراتيجية.

وكان من نتائج الاتفاق الصليبي الفاطمي:

1- ارتفاع الروح المعونة بشكل كبير بمجيء السفارة الفاطمية، إذ أدرك الصليبيون بأنهم يتعاملون مع أمة ضائعة، همها التملك والسلطة والثروة [99]، حالها الأمس بنفس حالها اليوم، بعكس الصليبيين الذين نسوا خلافاتهم المذهبية وجمعتم المصلحة والأهداف، كما هو حال الغرب الآن من قوة ووحدة، وحال المسلمين من تشتت وضعف.

2- وقوع السلاجقة بين فكي كماشة، الصليبيون من الشمال والفاطميون من الجنوب مما سيكون له أثر سلبي في تغلغل الصليبيين في بلاد الشام.

3- أصبح الصليبيون في مأمن من الدولة الفاطمية، ولا سيما البحرية التي كان من الممكن أن تقلب موازين القوى بمنع الإمداد الصليبي من البحر وحماية سواحل بلاد الشام من الصليبيين.

4- إرسال السفارة الفاطمية وعقدها الاتفاق مع الصليبيين، يعني اعتراف الدولة الفاطمية بهذا الكيان الصليبي [100]، الغازي لأرض المسلمين كما هو حال بعض الأنظمة العربية والإسلامية التي اعترفت إما علنا بفتح سفرات وتبادل دبلوماسي مع الكيان الصهيوني الغاصب لأرض فلسطين أو سرا

5- استفاد الصليبيون من هذا الاتفاق بتحييد بعض الخصوم ريثما يتم الانتهاء من حصار أنطاكية وتثبيت الوجود الصليبي في شمال بلاد الشام، ومن ثم انتزاع بيت المقدس من الفاطميين.

6- عمل الصليبيون بعد نجاح اتفاقهم مع الفاطميين على بث الطمأنينة لسلاجقة الشام بأنهم لا يطمعون إلا في استرداد الأماكن والبلدان التي كانت تابعة للإمبراطورية البيزنطية في الماضي، أي الرها وأنطاكية واللاذقية[101].

كما عانى المعسكر الصليبي من المجاعة، عانى أيضاً المسلمون داخل أنطاكية من المجاعة نتيجة طول فترة الحصار الذي استمر لسبعة أشهر، وفشل النجدات حلب ودمشق في فك الحصار عن المدينة، ونفاذ المؤن، ويروي ابن القلانسي " وغلا سعر الزيت والملح، وغير ذلك، وعُدِمَ في أنطاكية " [102].

بعد نجاح خطة بوهيموند، وتأكده أن أنطاكية سوف تؤول إليه حال سقوطها، بعد فرار المندوب البيزنطي، فلم يبقَ للإمبراطورية أي حق للمطالبة بأنطاكية، وموافقة الأمراء الصليبيين باستثناء ريموند الذي وافق فيما بعد على منح أنطاكية لبوهيموند، عمل الصليبيون على تشديد الحصار على أنطاكية ببناء عدة قلاع " وكان رجالنا قد شيدوا أمام المدينة عدة قلاع، استخدموها للقيام بهجمات متعددة استطاع رجالنا أثناءها أن يصدوا بكل بسالة الأتراك"[103].

خلال فترة الحصار الطويلة لم توقف القوات الإسلامية داخل مدينة أنطاكية هجماتها على المعسكر الصليبي، وهو ما دفع قادة الحملة الصليبية إلى عقد اجتماع للتشاور في هذا الأمر ولتشديد الحصار " يجب علينا قبل أن نقدم على حرب تودي برجالنا أن نشيد حصناً على المحمرة الواقعة أمام المدينة حيث يوجد الجسر ومن هنا ربما تمكنا من تضييق الحصار على عدونا" [104].

اعتاد أهل أنطاكية على دفن مواتاهم في المحمرة الواقعة خلف الجسر أمام باب المدينة، إلا أن حقد الصليبيين وجشعهم إلى الثروة والمال، دفعهم إلى نبش القبور والأضرحة وقطع رؤوس الموتى والبحث عما يمكن الاستفادة منه، من لباس وسلاح، والاستفادة من حجارة المقبرة في بناء الحصن " فدمروا جميع الأضرحة ونبشوها وطرحوا ما كان فيها من جثث بعيداً ثم جمعوها وألقوها في خندق حفروه لها، كما قطعوا رؤوس القتلى وحملوها إلى المعسكر، ليعرف القوم عدد القتلى، هذا عدا عن كمية من الرؤوس حملوها على أربعة من الخيول العائدة إلى رسل صاحب مصر" [105].

قيام الصليبيين بهذا الفعل الشنيع من نبش القبور وقطع رؤوس الموتى يدل على حقدهم ورغبتهم في الانتقام من الموتى لأنهم عجزوا عن الانتقام من الأحياء والاستيلاء على أنطاكية، وموقفهم هذا يذكرنا بموقف الجزار الفرنسي غورو عام **1920م** بعد احتلاله لدمشق، عندما وضع رجله القذرة على ضريح البطل صلاح الدين الأيوبي مخاطباً أياه بقولها ها قد عدنا.

نتيجة فترة الحصار الطويلة، وما تعرض له الصليبيون من مجاعة وأمراض، وصلت سفن من مدينة جنوة الإيطالية مشحونة بالمحاربين والمهندسين والزاد والعتاد، فعمت الفرحة نفوسهم، وعلى الفور سارع ريموند وبوهيموند بالتوجه إلى ميناء السويدية لاستقبال الجنويين، وللاستعانة بهم في تشييد الحصن فوق تل المحمرة [106]

بعد فشل نجدات حلب ودمشق في فك الحصار عن أنطاكية، طلب ياغي سيان النجدة من سلطان السلاجقة بركياروق وصاحب الموصل كربوقا، وبالفعل لبى كربوقا الطلب، وزحف بجيشه باتجاه إمارة الرها الصليبية وحاصرها لمدة

شهر تقريباً، وذلك لخوفه أن يقوم صاحبها بلدوين بالهجوم على الموصل في فترة غياب كربوقا عنها.

أدرك بوهيموند أن وصول كربوقا إلى أنطاكية يعني نهاية الحصار، وضياع الجهود، نظراً للفرق الكبير بين القوات، وتململ المعسكر الصليبي من طول مدة الحصار، وصعوبة اقتحام أسوار المدينة لمناعة حصونها واستماتت أهلها في الدفاع عنها، لذلك عمل على أخذها بالحيلة والتآمر[107].

لقد استغل بوهيموند التركيبة السكانية المتعددة الأجناس والأديان، وجشع بعض النفوس للسلطة والمال، ولا سيما من الأرمن، الذين قدموا خدمات عظيمة للصليبيين في الرها، بتسليمهم المدينة للصليبيين، وامداد المعسكر الصليبي بالمؤن.

لقد تمكن من إجراء مراسلات مع أحد قادة ياغي سيان من الأرمن يدعى فيروز " وكان بوهيموند يلوح له في الرسائل المتبادلة بينهما بمودته ويمنيه بها، ووعده بمنزلة سامية إن هو اعتنق المسيحية، وراح يمنيه بالشرف العظيم والثراء الكبير، فوثق فيروز بتلك الوعود، وركن إلى تلك الأقوال " [108]، ويذكر ابن الأثير أن الصليبيين " راسلوا أحد المستحفظين للأبراج وهو زراد يعرف بروز وبذلوا له مالاً واقطاعاً وكان يتولى حفظ برج يلي الوادي" [109].

وكان فيروز يتولى قيادة القوات المرابطة في برج الأختين الشقيقتين الذي يشرف على ما يليه من قطاع، من سور المدينة المطل على الخارج، والذي يواجه تنكريد ابن أخت بوهيموند [110].

بعد أن أطمأن بوهيموند من إمكانية دخول المدينة، عمل على تأكيد موافقة القادة والأمراء الصليبيين على منحه أنطاكية، فجمعهم وخاطبهم قائلاً " فلعله

يرضيكم ويشرفكم أن يتطوع أحدنا فيرشح نفسه ويتقدمنا جميعاً، فإن مكنته إحدى الوسائل أو براعته من الاستيلاء على المدينة، أو مهاجمتها بمفرده أو بمعونة الأخرين، اجمعنا الرأي على أن نملكه إياها " [111].

إلا أن الأمراء والقادة الصليبيين لم يقبلوا بعرض بوهيموند إلا بعد تأكد خبر خروج كربوقا باتجاه أنطاكية، وقالوا " إذا قدر لبوهيموند الاستيلاء على المدينة وحده أو بمعونة الآخرين، علينا أن نسلمها له عن طيب خاطر، مشترطين عليه الوفاء بعهودنا مع الإمبراطور في المساعدة على رد المدينة إليه إذا قدم لنجدتنا بنفسه" [112].

لقد تضمن الاتفاق بين بوهيموند وفيروز الأرمني أن يرسل فيروز ابنه لبوهيموند كرهينة [113]، وذلك تأكيداً على أنه سوف يدخله المدينة ولن يغدر به، وأيضاً تضمن الاتفاق أن يخرج بوهيموند بقوات الصليبيين باتجاه الشرق للقاء مع قوات كربوقا، بهدف خداع قوات أنطاكية فيخلدوا إلى الراحة، ومن ثم يعود بقواته إلى جهة الأسوار الغربية والشمالية الغربية [114]وهنا يقوم فيروز بتقديم المساعدة للصليبيين لدخول المدينة عن طرق السلالم والحبال.

وبالفعل جمع بوهيموند قوات الفرسان في السهل، وأخذوا بالزحف والحركة طوال الليل، وقبيل الفجر اقتربوا من الأبراج وصعدوا السلالم قرابة الستين رجلاً، وانتشروا على الأبراج التي يسيطر عليها فيروز وتعالى هتاف الصليبيين " إنها إرادة الرب " وهاجم الصليبيون الأبراج الأخرى وقتلوا حاميتها " حتى كان من بين القتلى أخو فيروز نفسه "[115]، ورفع الصليبيون راية بوهيموند فوق أبراج المدينة، وفتحوا أبواب المدينة، فدخلتها جموع الصليبيين " وقتلوا كل من صادفوه في طريقهم من التركمان والمسلمين "[116]، ويذكر ابن القلانسي " وأما أنطاكية فقتل منها وأسر وسبي من الرجال والنسوان والأطفال ما لا يدركه حصر "[117].

لقد تفاجأ أهل أنطاكية بدخول الصليبيين، فقتل منها عدد كبير من المقاتلين والأهالي " وامتلأت شعاب المدينة وطرقاتها بجثث القتلى، ولم يتمكن واحد منا من السير في الطرقات إلا على جثث القتلى" [118] وهذ يدل على وحشية القوات الصليبية الذين لا يفرقون بين رجل وطفل وشيخ وامرأة، ويدل على حقدهم الدفين تجاه المسلمين، كما هو الحال القصف الجوي والاجتياح البري الذي تتعرض له دول العالم الإسلامي من قبل الغرب الذي لا يفرق بين مقاتل ومدني.

لم يكن بوسع أهل أنطاكية الذين سلموا من القتل إلا الفرار إلى قلعة أنطاكية والتحصن بها " وهرب إلى القلعة تقدير ثلاثة آلاف تحصنوا بها "[119]في حين تمكن قسم آخر من الهروب خارج مدينة أنطاكية، ومنهم أميرها ياغي سيان، الذي هرب مع بعض رجاله، وأثناء هروبهم " بالقرب من معرة مصرين، سقط عن فرسه عن الأرض فحمله بعض أصحابه واركبوه ، فلم يثبت على ظهر الفرس، وعاود وسقط، فمات رحمه الله "[120]، في حين يذكر ابن الأثير " فلشدة ما لحق به سقط عن فرسه مغشياً عليه، فلم سقط إلى الأرض أراد أصحابه أن يركبه ، فلم يكن فيه مسكة، قد قارب الموت، فتركوه وساروا عنه، واجتاز به إنسان أرمني كان يقطع الحطب وهو بآخر رمق فقتله وأخذ رأسه وحمله إلى الفرنج بأنطاكية "[121].

ويذكر فولتشر" أما ياغي سيان أمير أنطاكية فقد هرب منها وصادفه بعض الفلاحين الأرمن، فقطعوا رأسه وأحضروه بالحال إلى الفرنجة، وشرع العامة من رجالنا بالاستيلاء على كل ما وقعت عليه أيدهم في الطرقات والبيوت" [122].

لم يكن ياغي سيان كأي قائد، فقد كان قائداً مخططاً عسكرياً بارعاً، مخلصاً لدينه وبلاده، حصن المدينة وشحذها بالمؤن والعتاد، ولم يستسلم أو يهادن، رغم مرور سبعة أشهر على الحصار، وخلال فترة الحصار لم تضعف

عزيمته، فاستمر في شن الهجمات من داخل المدينة ضد الصليبيين، وطلب النجدات ووضع الخطط وعقد التحالفات مع الأمراء المسلمين خارجها، وكان من الممكن أن تصمد المدينة أكثر لولا الخيانة التي قام بها فيروز الأرمني، ولا شك أن سقوط المدينة كان كالفاجعة للمسلمين بشكل عام ولياغي سيان بشكل خاص، حيث أفقدته الخيانة التي أدت إلى سقوط المدينة عزيمته وخارت قواه، ولا سيما مشاهد المجازر التي ارتكبتها وحوش البشرية بحق أهالي المدينة، ولم يتحمل ما حصل، فسقط عن جواده مراراً، فاضطر رجاله إلى تركه، حتى لا يدركهم الصليبيون جميعاً، وشاءت الأقدار أن يموت شهيداً على يد أحد الفلاحين الأرمن، الذي قطع رأسه وقدمه للصليبيين الذين استخدموه بهدف إضعاف عزيمة مقاتلي حامية القلعة وإجبارهم على الاستسلام ، وهكذا " سقطت أنطاكية في اليوم الثالث من شهر حزيران، وكانت هدفاً للهجوم من حوالي الثاني والعشرين من شهر تشرين الأول من العام الماضي"[123].

6 حملة كربوقا:

دفعت أخبار وصول الاجتياح الصليبي للمشرق العربي الإسلامي، ووصول كتب الاستنجاد من ياغي سيان للسلطان السلجوقي بركياروق إلى إصدار الأوامر بالخروج بالتصدي لهم " ووردت كتب السلطان بركياروق إلى جميع الأمراء بالخروج" [124]، ولقد كان من نتائج خيانة فيروز للصليبيين، تمكنهم من الاستيلاء على أنطاكية بسهولة، ومن جهة أخرى جنبتهم اقتحامها بالقوة، لذا بقيت استحكاماتها وأبراجها وأسوارها قوية [125]، خاصة وأن كربوقا كان في طريقه إلى أنطاكية.

كان كربوقا من أقوى الأمراء السلاجقة، وأكثرهم نشاطاً، كان يحكم منطقة الموصل الواسعة الثراء، ويتمتع بثقة السلطان السلجوقي بركياروق، وعندما تلقى

طلب ياغي سيان لإنقاذ أنطاكية، أعلن التعبئة العامة في جيشه، وطلب من الأمراء السلاجقة في الجزيرة والشام الاستعداد للانضمام إليه، وكان الصليبيون قبل ذلك قد نجحوا في تأسيس إمارة الرها الصليبية [126]بزعامة الأمير بلدوين، فعزم كربوقا على مهاجمتها بهدف حماية الموصل من خطرها أثناء قيامه بالزحف باتجاه أنطاكية، إلا أنه فشل في الاستيلاء عليها لشدة تحصينها ولأن غالبية سكانها من الأرمن الذين قاوموا بقيادة بلدوين.

بعد أن يأس كربوقا وإدراكه صعوبة الاستيلاء عليها، ولقيام الصليبيين بتشديد الحصار على أنطاكية قرر الزحف باتجاه أنطاكية " وأعُقيت مسيرة هذا الجيش مقدار ثلاثة أسابيع أمام مدينة الرها التي كان يملكها آنذاك بلدوين، وبعدما أخفق في الاستيلاء عليها، سارع بزحفه نحو أنطاكية لأنجاد الأمير ياغي سيان"[127]، ولكن بعد أن أضاع عدة أسابيع في حصاره للرها، لولاها لتغير الوضع في أنطاكية.

عبر كربوقا بقواته نهر الفرات باتجاه الغرب وعسكر في مرج دابق شمالي حلب [128]" واجتمعت معه عساكر الشام تركها وعربها سوى من كان بحلب واجتمع معه دقاق بن تتش وطغتكين أتابك وجناح الدولة صاحب حمص وأرسلان تاش صاحب سنجار وسليمان بن أرتق [129]وغيرهم من الأمراء"[130].

لقد التحق بكربوقا قوات حمص ودمشق وسنجار باستثناء رضوان صاحب حلب، ويرجع السبب في ذلك إلى خلافه مع أخيه دقاق صاحب دمشق وإلى خوفه من ضياع حلب منه بقدوم كربوقا، وكان وصول قوات كربوقا " بعد ذلك بثلاثة

أيام – من امتلاك الصلبيين أنطاكية – أي في اليوم الخامس من حزيران نفسه حاصر المسلمون حملة الصليب"[131]،" وكانت حملته تشغل مساحة كبيرة وعسكره كبيرين جداً حتى ضاق بهم السهل الفسيح الذي تقع فيه أنطاكية" [132].

هاجم كربوقا جسر الحديد واستولى عليه، وجرت مراسلات بينه وبين شمس الدولة بن ياغي سيان، فطلب منه كربوقا تسليم القلعة إلى أحد الثقات من رجاله يدعى أحمد بن مروان [133]، لا شك أن طلب كربوقا تسليم القلعة لأحد رجاله يعود إلى رغبته، بتسلم زمام الأمور، وإلى خطة تم الاتفاق عليها بين كربوقا وأحمد بن مروان، بهدف أن يكون الصليبيين محاصرين من الداخل من قبل حامية القلعة ومن الخارج بقوات كربوقا.

بعد أن استلم أحمد بن مروان قيادة القلعة بادر بالهجوم من الممرات السرية للقلعة، وتمكن من الاستيلاء على منطقة مجاورة للقلعة لكن الصليبيون تمكنوا من استعادتها، فتراجع المسلمون إلى القلعة، مما كشف للصليبيين نقاط ضعفهم، فعملوا على زيادة التحصينات بهدف عزل القلعة عن المدينة.

لقد استفاد الصليبيون من أسوار وأبراج المدينة التي حالت دون اقتحامها مما دفع كربوقا إلى إطباق الحصار على المدينة من كل جهاتها " أصبحت أنطاكية محاطة بكل نواحيها بصورة لم يستطع الصليبيون المحاصرين داخل أسوارها مغادرتها، كما أعجزت من كان خارجها عن دخولها والوصول إليهم" [134].

كان يتخلل عمليات الحصار الاشتباكات المتواصلة سواءً من داخل المدينة أو من قبل حامية القلعة أو من خارجها، ولا سيما بالسهام والنبال " أضف إلى ذلك الاشتباكات الموصولة – داخلها وخارجها – قد أنهكت قوى الصليبيين إنهاكاً فاق كل احتمال"[135]، وقد تمكنت قوات كربوقا في أحد المرات من

الاستيلاء على أحد الأبراج، حيث استغلوا عتمة الليل وتسلقوا السلالم وصعدوا إلى الأسوار إلا أن الصليبيين تمكنوا من احتواء الموقف بوصول المؤازرات.

إن الغنائم والأقوات التي استولى عليها الصليبيون بعد احتلالهم المدينة، أخذت تنفذ ولا سيما عند الفقراء، ويرجع السبب في ذلك إلى قلة الأقوات داخل أنطاكية لأنها كانت محاصرة سابقاً من قبل الصليبيين، ولأن قسماً كبيراً من هذه الأقوات ظل في القلعة، التي بقيت خارج سيطرة الصليبيين، وإلى حياة البذخ والترف التي عاشها الصليبيون في الأيام الأولى لاستيلائهم على أنطاكية ، أضف إلى ذلك انعدام وصول النجدات إلى داخل المدينة نتيجة إحكام الحصار عليها، مما أدى إلى انتشار المجاعة " أما الرجال الذين كانوا من قبل أشداء العزم أصحاب البنية ذوي بأس شديد .... فقد بدوا وكأنهم أنصاف موتى .... يجرون أنفسهم في الشوارع والميادين جراً" [136]، ويذكر المؤرخ فولتشر " وساء وضع الفرنجة ولم يعودوا يطيقون تحمل العذاب أكثر مما فعلوا، حيث لم يبق لديهم ما يأكلونه" [137].أضف إلى ذلك حالة الخوف والرعب التي دبت في نفوسهم نتيجة حصار كربوقا للمدينة " فلما سمعت الفرنج عظمت المصيبة عليهم وخافوا لما هم فيه من الوهن وقلة الأقوات" [138].

إزاء هذه الظروف القاسية تمكن بعض الصليبيين من الفرار إلى الإسكندرونة على ساحل البحر المتوسط، وهناك التقوا مع ستيفن ورفاقه الذي هرب مسبقا قبيل استيلاء الصليبيين على أنطاكية، وجرى تبادل الحديث عن سوء وضع الصليبيين وبأنها لا شك سوف تكون النهاية الحتمية لهم، ومن ثم ركبوا السفن وتوجهوا إلى الإمبراطورية البيزنطية " وبعد أن قلبوا الأمر فيما بينهم على شتى وجوهه ركبوا السفن التي كانت في الميناء معدة لهم ..... حيث راحوا يتقصون أين يكون الإمبراطور، وما ينوي أن يفعله "[139].

لقد تم الاتفاق بين الإمبراطور البيزنطي والصليبيين على تسليمه المدن التي كانت تابعة له بما فيها أنطاكية، وأقسم أمراء الحملة الصليبية على الالتزام بتسليم المدن للإمبراطور البيزنطي، حيث اكتفى الإمبراطور البيزنطي بإرسال سرية من المقاتلين على رأسهم القائد تاتيشوش، بهدف مشاركة الصليبيين في قتالهم، ويكون دليلاً لهم ويستلم المدن التي سوف يستولي عليها الصليبيون.

إلا أن بوهيموند تمكن من التخلص من القائد البيزنطي بتخويفه من اتهام الأمراء الصليبيين له بالخيانة، مما دفع القائد البيزنطي تاتيشوش إلى الهروب من المعسكر الصليبي.

الحقيقة أن الإمبراطور البيزنطي كان يدرك حقيقة أطماع بوهيموند ورغبته في إبعاد الإمبراطورية البيزنطية عن أنطاكية، فاهتم الإمبراطور البيزنطي بتأمين المساعدات والإمدادات للصليبيين، فأرسل في البداية حملة بهدف تأمين الطريق إلى أنطاكية، ومن ثم زحف بجيشه باتجاه أنطاكية، وفي منطقة طرسوس التقى بمجموعة من الصليبيين الهاربين على رأسهم ستيفن، وجرى تبادل الحديث بينهم، حيث عمل ستيفن على تخويف الإمبراطور وبأن أنطاكية ساقطة لا محالة بيد المسلمين، وصور له سوء وضع الصليبيين المحاصرين " وقد علم منهم بأن الفرنجة أصبحوا في حالة ميؤوس منها، وأكدوا له بالأيمان بأن الانهيار كامل"[140].

وفي تلك الأثناء وصلت أنباء تفيد بخروج المسلمين بجيش كبير بهدف سحق قوات الإمبراطور البيزنطي، والقضاء على الصليبيين في أنطاكية " وانتشرت آنذاك أقاويل واسعة تحدثت عن هجوم مرتقب لحشود لا تحصى من البرابرة – أي المسلمين – وذلك أن سلطان خراسان قام بناءً على ما سمعه من أخبار توجه الإمبراطور الكسيوس نحو الفرنجة بغية إمدادهم والتفريج عنهم، قام

بإرسال ..... قوات ضخمة "[141]وعمل ستيفن على تخويف الإمبراطور قائلاً " والآن فلعل جلالتكم ترون أن الخير كل الخير في الرجوع عما كنتم اعتزمتموه من الزحف على أنطاكية"[142]، لقد نجح ستيفن في تخويف الإمبراطور وإلقاء الرعب في قلبه مما جعله يعدل عن قراره بالزحف نحو أنطاكية، مما أدى إلى حرمان الصليبيين من المساعدة الأمر الذي ادى إلى انهيار الروح المعوية لديهم.

أما للإمبراطور البيزنطي، فقد قرر الانسحاب بجيشه نحو العاصمة القسطنطينية، لأنه أدرك من الأخبار التي وصلته أنها ساقطة لا محال، ولخوفه من الحشود الضخمة للمسلمين وتكرار سيناريو معركة ملاذكرد مما سيؤدي إلى سقوط نيقية والقسطنطينية، وربما القضاء على الإمبراطورية البيزنطية بالكامل، أضف إلى ذلك علاقته السيئة مع الصليبيين الذين يكيدون المؤامرات ضد الإمبراطورية وليس أخرها المؤامرة ضد تاتيشوش، لذا " قرر تحت معطيات هذه الظروف أن يعلن للجميع خبر زحف المسلمين وتم الإعلان في الحال بأن على كل رجل وامرأة مغادرة المكان قبل وصولهم"[143].

في نفس الوقت الذي كان يعاني منه الصليبيون من مآسٍ ومجاعات وانهيار نفسي وتخاذل الإمبراطور البيزنطي عن نصرتهم، لم يكن حال المسلمين بأفضل من ذلك، فقد وجد الخلاف منذ اللحظة الأولى، فقرر رضوان صاحب حلب عدم المشاركة مع جيش كربوقا لخلافه مع أخيه دقاق صاحب دمشق، ولتخوفه من انتزاع حلب منه من قبل كربوقا، ولم يكتف رضوان بعدم المشاركة، بل عمل على مراسلة بعض الأمراء التركمان لينفرهم من كربوقا [144].

تلا ذلك المعاملة السيئة من قبل كربوقا لأمراء المسلمين مما أغضب الأمراء ودفعهم إلى النفور منه، قال تعالى " ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من

حولـك"[145]، ويـذكر ابـن الأثيـر " وأسـاء كربوقـا السـيرة فـيمن معـه مـن المسـلمين، وأغضـب الأمـراء وتكبـر علـيهم.... فأغضـبهم ذلـك وأضـمروا لـه فـي أنفسـهم الغـدر"[146]، وهـذا أمـر صـعب، فمـن طبيعـة الـنفس البشـرية أن تنفـر مـن التكبـر والاحتقار.

هـذا بالإضـافة إلـى أن جـيش كربوقـا يتكـون مـن السـلاجقة الأتـراك والعـرب الـذين اشـتركوا بقتـال الصـليبيين بقيـادة وثـاب بـن محمـود، ثـم مـا لبـث أن دب الخـلاف بـين السـلاجقة والعـرب " وجـرت بـين الأتـراك والعـرب الـذين مـع وثـاب منافرة" [147].

وقبيـل وصـول الصـليبيين، كـان الصـراع علـى أشـده بـين السـلاجقة السـنة والفـاطميين الشـيعة، الـذين قـد خسـروا بـلاد الشـام، ممـا دفعهـم إلـى إرسـال سـفارة إلـى الصـليبيين فـي أنطاكيـة، حيـث عقـدوا معهـم اتفاقيـة تضـمنت تقسـيم الشـام إلـى قسـمين شـمالي تحـت سـيطرة الصـليبيين وجنـوبي تحـت سـيطرة الفـاطميين، الـذين اسـتغلوا انشـغال السـلاجقة بالتصـدي للغـزو الصـليبي، وأرسـلوا جيشـاً تمكـن مـن الاسـتيلاء علـى بيـت المقـدس، ممـا أجبـر دقـاق صـاحب دمشـق علـى الانسـحاب والتراجـع إلـى دمشـق مـع جنـاح الدولـة صـاحب حمـص، بهـدف مواجهـة التهديـد الفـاطمي لجنـوب بـلاد الشـام، وهكـذا تفـرق معظـم جـيش كربوقـا ممـا أدى إلـى انهيـار الروح المعنوية لجيشه.

وفـي ظـل هـذه الظـروف الحالكـة السـواد، الشـديدة الظلمـة، انتشـرت فـي المعسـكر الصـليبي المحاصـر، بـوادر الأمـل، فرفعـت مـن معنويـات الصـليبيين، حيـث زعـم أحـد الصـليبيين أنـه وجـد الحربـة المقدسـة التـي قتـل بهـا السـيد المسـيح عليـه السـلام " وروى رجـل القصـة لأسـقف لـي بـوي، وللكونـت ريمونـد، ولـم يصـدق الأسقف هذه الحكاية، لكن الكونت أمل أن تكون صحيحة" [148].

ويروي ابن الأثير في الكامل في التاريخ " وكان معهم راهب مطاع فيهم وكان داهية من الرجال فقال لهم إن المسيح عليه السلام كان له حربة مدفونة بالفيسان الذي بأنطاكية وهو بناء عظيم فإن وجدتموها فإنكم تظفرون وإن لم تجدوها فالهلاك متحقق، وكان قد دفن قبل ذلك حربة في مكان" [149]، لا شك أن سماع الصليبيين بهذا الخبر سوف يثلج صدورهم ويفرحها أيما فرح، ومع أن القصة أغرب من الخيال، إلا أن الهدف المراد منها هو رفع الروح المعنوية لدى الصليبيين في ظل هذه الظروف القاسية التي يعيشونها، " ظل الناس يقاسون هذه الظروف غير المحتملة سنة وعشرين يوماً متتالية، أطمأنت بعدها قلوبهم"[150].

لا شك أن معاناة كل من المسلمين والصليبيين قد وصلت إلى منتهاها، إذ أن الصعوبات والمشاكل التي عانى منها المسلمون قد رفعت أيضاً من الروح المعنوية للصليبيين، وهذا ما دفعهم إلى إرسال وفد بقيادة بطرس الناسك، مع أحد المترجمين يطلبون الأمان من كربوقا[151]، " فلما رأوا ذلك أرسلوا إلى كربوقا يطلبون منه الأمان"[152]، وبالفعل قدم وفد من الصليبيين يرأسه بطرس الناسك الذي اجتمع مع كربوقا وعرض عليه " أن تختار واحداً من عدة اقتراحات نضعها أمامك، وهي أن ترفع الحصار وتنسحب وتكف عن مضايقة الصليبيين، فإن لم تفعل أنذرناك بحرب بعد ثلاثة أيام يكون الحكم فيها للسيف بيننا وبينكم، وزيادة على ذلك فإن أردت تجنب الصدام بتقديم عدد مقبول فإنهم يخيرونك بين عدة أمور تختار منها واحداً، وهي إما أن تلتقي بنفسك وجهاً لوجه مع واحد من قوادنا في مبارزة لا يكون فيها سواكما، فإن تغلب فيها عليه ملكت كل شيء، وإن هزمك رحلت وتركتنا آمنين، وأما الاقتراح الثاني فهو أن يخرج بضعة من فرسانك يقاتلون بضعة من فرساننا، وإلا تقابل الجيشان بأجمعهما من الجانبين في معركة تقرر المصير"[153].

إن تحليل مضمون العرض الذي قُدم لكربوقا، يبين أن الصليبيين يضعون أنفسهم في موقف القوة، فهم الذين يقترحون ويطلبون من كربوقا الاختيار، بين شروط تناسبهم، والسبب في ذلك يرجع إلى رغبتهم في إخفاء ضعفهم أمام العدو، بهدف توهيمه مدى قوة الصليبيين لاسيما أنهم تصدوا لنجدة لدمشق وبعدها نجدة حلب، والسبب الثاني يرجع إلى ارتفاع الروح المعنوية للمعسكر الصليبي بعد قصة الحربة المخترعة، التي ساهمت في تقوية الصليبيين وكأن النصر آتٍ لا محالة، وأيضاً نلاحظ رغبة الصليبيين بفك الحصار عنهم والخروج بأي شكل، لأن بقاءهم في حالة الحصار سوف يفضي إلى المجاعة المحققة، ويظهر أيضاً بشكل جلي رغبة الصليبيين بقتال مشرف يعتمد على المبارزة الفردية أو المطالبة بالتقاء الجيشين مع بعضهما البعض، لإيهام كربوقا بخوفه من المبارزة، وبهدف دفعه إلى التقاء الجيشان، للتخلص من ويلات الحصار.

بعد اطلاع كربوقا على عرض بطرس الناسك وطريقته في الكلام، وكأنهم يمتلكون القوة، وهم أصحاب الحق والأرض، رفض مطالبهم ورد قائلاً " لا تخرجون إلا بالسيف" [154]،" وما أظن يا بطرس الغالي أن وضع زعمائك الذين أرسلوك إلي لا يسمح لهم باختيار اختيارات بعرضها علي، أو أن يعرضوا علي اختياراً معيناً حسب أهوائهم ..... فاذهب الأن إلى هؤلاء القادة الأغبياء الذين أوفدوك ..... وقل لهم إنني سوف أستبقي عندي منهم كل من هم في زهرة الشباب من الجيش ليكونوا في خدمة مولاي – السلطان السلجوقي– أما من سواهم فسوف أجعلهم نهب السيوف كأوراق الشجر المتساقطة، حتى لا يبقى من يذكر فيهم، ولولا أني آثرت أن أتركهم يلاقون الموت بالجوع القاسي بدلاً من قتلهم بالسيف لدككت الأسوار عليهم منذ زمن بعيد، ولاستوليت على المدينة عنوة" [155].

يتضح من رد كربوقا على عرض بطرس الناسك، فهمه لحقيقة وضع الصليبيين بأنهم في وضع ضعيف لا يمكنهم من اقتراح الحلول التي تناسبهم، ويتضح أيضاً أدراكه للمجاعة التي يعانيها الصليبيون بنقص الأقوات، لا سيما أن حامية القلعة مع المسلمين وبالتالي يمكن الهجوم على الصليبيين من داخل المدينة وخارجها.

لقد وضع بطرس الأمراء الصليبيين في صورة زيارته لكربوقا، ولكن بناء على توجهات بعض الأمراء لم يضع العامة في تفاصيل كل ما حدث، بل اقتصر على الموجز ألا " وهو تصميم العدو على القتال، وأنه ينبغي على الصليبيين أن يصرفوا كل اهتمامهم للاستعداد للحرب" [156]، حيث عمل رجال الدين المسيحي على تشجيع الناس على الاستبسال في القتال وعدم التهاون، ووعدهم بغفران الذنوب، وذكروهم بالأيام القاسية التي مروا بها ولا سيما التصدي لنجدات حلب ودمشق، وكان لقصة الحربة أثر كبير في تشجيع عامة الصليبيين على القتال.

أخذ الصليبيون في تنظيم صفوفهم وتعبئة قواتهم، وهيؤوا صفوفهم للقتال، ورأوا أن أفضل وسيلة للدفاع هي الهجوم، معتمدين على شجاعة مقاتليهم وعلى وحدة صفوفهم، مستغلين تفرق بعض أمراء كربوقا والخلافات الحاصلة في صفوفه، وأدركوا أنهم إذا استمر الحصار فسوف يمتون جوعاً، "وأقام الصليبيون على التل المواجه للقلعة سوراً قوياً من الإسمنت والحجر، إلى جانب استحكامات إضافية نصبت عليها بعض آلات الرمي..... وأعلن نداء عام يحذر تحذيراً قاطعاً أي شخص من التجرؤ على مد ناظريه إلى الغنائم والأسلاب، بل يكون الاهتمام منصباً على كل ما فيه تحطيم الأعداء" [157].

علم كربوقا بخبر خروج الصليبيين عن إشارة تحذير تم الاتفاق عليها مسبقاً مع حامية القلعة، وبعد أن رتب الصليبيون صفوفهم أخذوا بالخروج من المدينة " ثم زحفوا وهم في غاية من الضعف إلى عساكر الإسلام وهو في الغاية من القوة" [158]، فاقترح عدد من الأمراء والقادة على كربوقا أن يمنعوا الصليبيين من الخروج بهدف محاصرتهم وإرهاقهم وتجويعهم وإجبارهم على الاستسلام، في حين اقترح آخرون أن يقوم المسلمين بقتل الصليبيين أثناء خروجهم أولاً فأول ومنعهم من التجمع، إلا أن كربوقا لم يستجب وقرر في النهاية السماح لهم بالخروج معتمداً على عدد جيشه وقوته، " فأشار وثاب بن محمود أن يمنعوا من الخروج، وأشار بعض الأمراء ألا يمكنوهم من الخروج بأجمعهم ويقتلوهم أولاً فأول، فلم يعرج المسلمين على شيء من ذلك، لأنهم أيقنوا بالظفر بالفرنج، وخرجوا بأجمعهم في خلق عظيم"[159].

ويؤكد هذه الرواية أيضاً ابن الأثير " فقال المسلمون لكربوقا ينبغي أن نقف على الباب فنقتل كل من يخرج فإن أمرهم الآن وهم متفرقون سهل، فقال لا تقتلوا أمهلوهم حتى يتكامل خروجهم فنقتلهم"[160].

إذاً رفض كربوقا اقتراحات القادة والأمراء من حوله وأراد خوض معركة مع الصليبيين وجهاً لوجه كما اقترح عليه بطرس الناسك معتمداً على عدد قواته الكبير، وهذا ما يريده الصليبيون الذين اعتمدوا على وحدة صفوفهم وحماسة مقاتليهم.

وعمل كربوقا على إرسال كتيبة امتازت بالكفاءة والقدرة على المناورة باتجاه البحر بقيادة قلج أرسلان" وكان الهدف من هذه المناورة، إذا دارت الدائرة ..... واضطروا للهروب – أي الصليبيين – وجدوا أنفسهم وقد سدت سبل النجاة من خلفهم وقدامهم، سواء كانوا يريدون الفرار إلى البحر أو إلى المدينة وبذلك يقعون

بين القوات التي تطاردهم وبين الذين يحاولون منعهم من التقدم فتحطمهم رحى القتال"[161].

" ولما أصبحت جميع الكتائب خارج المدينة صمم الزعماء على نشر العسكر حتى الجبال التي تبتعد عن أنطاكية قرابة الميلين، واحتلال السهل بأكمله مخافة أن يحول العدو – أي المسلمين – بأعداده الضخمة خلسة أو عنوة بين قواتنا وبين المدينة .... كما أنه لا يستطيع بهذه الطريقة – كما هي عادته – الإحداق برجالنا من كل جانب، فيقطع خط الرجعة على المتسللين إلى المدينة"[162].

نلاحظ أن الصليبيين قد وضعوا خطة محكمة تتمثل في جانبين اثنين: يتمثل الأول في حماسة المقاتلين وتحذيرهم من جمع الغنائم والاستبسال في القتال، فالمعركة لهم حياة أو موت، ويتمثل الجانب الثاني في ترتيب صفوفهم وانتشارها في السهل مع الجبال بهدف تأمين خط الرجعة إلى المدينة إذا لزم الأمر وفي نفس الوقت منع العدو من الالتفاف والإحاطة بالصليبيين، أضف إلى ذلك بناء جدار بجانب القلعة وتزويد المحاصرين لها بالآت الرمي بهدف عزلها ومنعها من المشاركة في المعركة.

بعد انتشار الصليبيين في السهل، باشروا في التقدم وقرع طبول الحرب، والتحم الجيشان مع بعضهم البعض، وجرى الاشتباك بالسيوف والرماح، وتراجع المسلمون ومالت كفة الصليبيين الذين توجه قسم منهم لمساعدة مؤخرة الجيش الصليبي التي يقودها بوهيموند لأنه تلقى ضربات قاسية من قبل الكتيبة التي يقودها قلج أرسلان، وبعد هزيمة قوات كربوقا عمد إلى إضرام النار في الشعب والنباتات والخيام بهدف إثارة غمامة من الدخان لتسهيل عملية الانسحاب إلا أن الصليبيين " استمروا في القتال حتى نجحوا أخر الأمر بفضل تجدد نشاطهم، في إرغام العدو على الهروب أمام سيوفهم " [163].

" وانهـزم كربوقـا معهـم فلمـا رأى الفـرنج ذلـك ظنـوه مكيـدة، إذ لـم يجـر قتـال ينهـزم مـن مثلـه، وخـافوا أن يتبعـوهم، وثبـت جماعـة مـن المجاهـدين وقـاتلوا حسـبة وطلبـاً للشـهادة، فقتـل الفـرنج مـنهم ألوفـاً وغنمـوا مـا فـي المعسـكر مـن الأقـوات والأموال والأثاث والدواب والأسلحة " [164].

الحقيقـة لـم تسـتمر المعركـة طـويلاً، حيـث انهزمـت قـوات كربوقـا وانسـحبت أمـام هجمـات الصـليبيين وكـان علـى رأس الهـاربين كربوقـا، ولـم يصـمد سـوى بضـعة آلاف مـن المقـاتلين الـذين طلبـوا الشـهادة فـي سـبيل الله حتـى قتلـوا عـن أخـرهم، ولـم يتجـرأ الصـليبيين علـى اللحـاق بقـوات كربوقـا الهاربـة شـرقاً باتجـاه حلـب، مخافـة أن يكـون هنـاك كمـين، ولجهلهـم بجغرافيـة المنطقـة، ولأن هـدفهم الأساسـي هـو الاستيلاء علـى أنطاكيـة وتثبيـت أقـدامهم فيهـا، ومـن ثـم مواصـلة زحفهـم باتجـاه بيـت المقدس.

بعـد انتهـاء المعركـة، توجـه الصـليبيون إلـى مدينـة أنطاكيـة، وأقـاموا الاحتفـالات وعملـوا علـى تنظـيم المدينـة، وجـرت مراسـلات مـع حاميـة القلعـة بقيـادة أحمـد بـن مـروان، حيـث تـم الاتفـاق علـى تسـليم القلعـة مقابـل الأمـان " رجـع الصـليبيون إلـى المدينـة محتفلـين بكـل مـا أصـابوه مـن الغنـائم والأسـلاب، وعـدوا يـومهم هـذا فرحـة عـامرة بسـبب النصـر الـذي أحـرزوه، أمـا التـرك الـذين لازالـت القلعـة فـي أيـديهم، ففقـدوا كـل أمـل كـان يـراودهم فـي نجـدة تـأتيهم مـن أي مصـدر، وحينـذاك أسـلموا القلعـة إلـى قادتنـا الـذين خفقـت أعلامهـم علـى أبراجهـا، غيـر أن التـرك اشـترطوا علـيهم أن يـأذنوا لهـم بـالخروج سـالمين"[165].ويمكـن إجمـال أسـباب سـقوط مدينـة أنطاكية بالآتي:

1- تفرق المسلمين وانقسامهم عامة، وانقسام الشام بين دقاق ورضوان خاصة

2- قيام كربوقا بمهاجمة إمارة الرها الصليبية لثلاثة أسابيع، كان من الممكن من دونها نجدة مدينة أنطاكية قبيل سقوطها.

3- اغترار كربوقا بقواته الكبيرة، وتوهمه أن النصر له في معركته مع الصليبيين متناسياً أن النصر بيد الله يؤتيه من يشاء، قال تعالى " ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين" [166].

4- المعاملة السيئة لكربوقا مع القادة والأمراء المسلمين، مما أدى إلى نفورهم.

5- عدم مشاركة رضوان صاحب حلب في حملة كربوقا، مما أثار حالة من القلق والاضطراب في صفوف جيش كربوقا.

6- الاتفاق الذي تم بين الصليبيين والفاطميين بتقسيم الشام بينهم، فبعد سيطرة الفاطميين على بيت المقدس، انسحب من جيش كربوقا كل من دقاق صاحب دمشق وجناح الدولة صاحب حمص بهدف حماية إماراتهم والتصدي للخطر الفاطمي على جنوب بلاد الشام.

7- الخلاف الحاصل بين العرب والترك وبين بعض الأمراء المسلمين ضمن قوات كربوقا.

8- تعند كربوقا وعدم قبوله اقتراحات الأمراء وتفرده بالقرار ولا سيما السماح للصليبيين بالخروج من أنطاكية بدلاً من إحكام الحصار عليهم بهدف تجويعهم ودفعهم إلى الاستسلام، ومن ثم انتظاره تجمع القوت الصليبية وانتشارها بدلاً من قتالهم أولاً بأول.

9- عدم مشاركة كربوقا في القتال، مكتفياً في مراقبة سير المعركة عند بعد، في حين مشاركة أمراء الحملة الصليبية في القتال، وبذلك ضعفت الحالة النفسية للمسلمين، لأن وجود القائد في ساحة المعركة يعطي الحماس للمقاتلين.

10- عدم اعتماد كربوقا على شخصيات إسلامية لها وزنها من رجال الدين لتشجيع المقاتلين وترغيبهم في الجهاد في سبيل الله، بعكس الصليبيين فقد كان لكل من بطرس الناسك والمندوب البابوي أدهيمار أثر كبيرا في حماسة الصليبيين.

11- قصة الحربة المقدسة التي ابتكرها الصليبيون، كان لها أثر كبير في حماسة الصليبيين.

12- معرفة الصليبيين لطرق قتال السلاجقة مثل الرمي بالسهام وإحاطة العدو من كل الجهات، سهلت عليهم الانتباه منها ووضع خطط مضادة.

وهكذا سقطت أنطاكية بعد حصار استمر لتسعة أشهر[167] فريسة سائغة بيد الصليبيين، الذين لم يأخذوها قوة في المرحلة الأولى وإنما نتيجة الخيانة، ولم يثبتوا أقدامهم فيها في المرحلة الثانية قوةً أيضاً إنما نتيجة انقسام المسلمين وتفرقهم، فاستيلاؤهم على أنطاكية لا يعني تمتعهم بميزات كالشجاعة والإقدام والجرأة تميزهم عن المسلمين، إنما الذي ساعدهم أنهم استغلوا انقسام المسلمين كما هو حالهم اليوم، تتكالب عليهم الأمم نتيجة بعدهم عن كتاب ربهم وسنة نبيهم.

قائمة المصادر والمراجع

[1] – عشور، سعيد عبد الفتاح: أوروبا العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، **د–م، ط10، 1986، ص 432.**

[2] – عاشور، سعيد عبد الفتاح: الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو المصرية، **ط1، د– م، 1963م، ج1، ص 432.**

[3] – العسلي، بسام: الأيام الحاسمة في الحروب الصليبية، دار النفائس، بيروت، **ط2، 1987، ص 19.**

[4] – زكار، سهيل: مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، الموسوعة الشامية، دار الفكر، دمشق، **1995م، ج3، ص 247.**

[5] – حومد، أسعد محمود: تاريخ الجهاد لطرد الغزاة الصليبيين، **د– م، ط1، 2002م، ج1 ص 81.**

[6]– عاشور: الحركة الصليبية، المرجع السابق، **ج1، ص 382.**

[7]– الواقدي، محمد بن عمر: فتوح الشام، **ج1**، دار الجيل، بيروت، **د–ت، ص 308–309.**

[8] – الأنطاكي، يحيى بن سعد بن يحيى: تاريخ الأنطاكي، تح: عمر عبد السلام تدمري، طرابلس، **1990، ص 134.**

[9] – العظيمي: تاريخ العظيمي، الموسوعة الشامية، إشراف: سهيل زكار، دار الكتب، دمشق، **1995م، ج11، ص 148.**

[10] – دواني، جلانفيل: أنطاكية القديمة، ت: إبراهيم نصحي، دار نهضة مصر، القاهرة، **1967، ص 342.**

[11] – الهرفي، محمد علي: شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام، دار المعالم الثقافية، الإحساء، **1979، ص 27.**

[12] – حسين، ممدوح: الحروب الصليبية في شمال أفريقيا وأثرها الحضاري، دار عمار للنشر، عمان، ط1، **1998، ص 136.**

[13]– ابن الأثير، علي بن محمد: الكامل في التاريخ، راجعه وصححه: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، **ط1،**

1987م، ج8، ص 474.

[14] – العيني، بدر الدين محمود: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، الموسوعة الشامية، إشراف: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق،

1995، ج24، ص 6.

[15] – المصري، جميل عبد الله محمد: حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، مكتبة العبيكان، الرياض، **2002، ط1، م،**

ج1، ص 63.

[16] – الكناني، مصطفى حسين محمد: العلاقات بين جنوة والفاطميين في الشرق الأدنى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية،

1981، ص 119–120.

[17] – حومد: المرجع السابق **ج1، ص92.**

[18] – أنا كومينا: الألكسياد، الموسوعة الشامية، إشراف: سهيل زكار، دار الكتب، دمشق،**1995، ج6، ص10.**

[19] – عاشور: الحركة الصليبية، المرجع نفسه، **ج1، ص444.**

[20] – أنا كومينا: المصدر نفسه، الموسوعة الشامية، **ج6، ص 26.**

[21] – أنا كومينا: المصدر نفسه، الموسوعة الشامية، **ج6، ص 33.**

[22] – عمران، محمود سعيد: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، **2006، ط1، ص 325–326.**

[23] – قاسم، قاسم عبده: ماهية الحروب الصليبية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،**1987م، ص 100.**

[24] – أنا كومينا: المصدر نفسه، الموسوعة الشامية، **ج6، ص 33.**

[25] – أنا كومينا: المصدر السابق، الموسوعة الشامية، **ج6، ص 38–39.**

[26] – قاسم: ماهية الحروب الصليبية، **د–م، د–ت، ص 101– 102.**

[27] – طقوش، محمد سهيل: تاريخ الحروب الصليبية، دار النفائس، **ط1**، بيروت، **2011م، ص 93.**

[28] – الشيخ، محمد محمد مرسى: عصر الحروب الصليبية في الشرق، **د–م، 2004م، ص 134–135.**

[29] – الحموي، شهاب الدين ياقوت عبد الله ياقوت: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، **1977م، م1، ص 267.**

[30] – ابن الأثير: الكامل في التاريخ، المصدر السابق، **ج6، ص 435.**

[31] – ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله: زبدة الحلبي من تاريخ حلب، تح: سامي الدهان، دار سعد الدين، **د–م، 2006م، ج2، ص 101.**

[32] – السرجاني، راغب: قصة الحروب الصليبية، مؤسسة اقرأ، القاهرة، **ط1، 2008، ص 74.**

[33] – ابن كثير، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، **1988م، ج11، ص 150.**

[34] – ابن العديم: المصدر السابق، **ج2، ص 487–491.**

[35] – عطية، حسين محمد: إمارة أنطاكيا الصليبية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، **1989، ط1، ص 112.**

[36] – ابن العديم: المصدر السابق، **ج2، ص 493.**

[37] – حومد: المرجع السابق، **ج1، ص 107.**

[38] – سرجاني: المرجع السابق، **ص 76.**

[39] – المؤرخ المجهول: أعمال الفرنجة، الموسوعة الشامية، إشراف: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، **1995م، ج6، ص 103.**

[40] – حومد: المرجع السابق، **ج1، ص 106.**

[41] – ابن الأثير: الكامل في التاريخ، المصدر السابق، **ص 14.**

[42] – ابن القلانسي: تاريخ دمشق، الموسوعة الشامية، **ج11**، دار الفكر، دمشق، **1995م، ص3.**

[43] – ابن القلانسي: المصدر السابق، **ج11، ص 3.**

[44] – طغتكين، أبو المنصور، المعروف باتابك، كان من رجال تاج الدولة تتش، وزوجه بأم ابنه دقاق، كان أتابكاً لدقاق مدة ولايته، وعندما مات دقاق استولى على دمشق، ابن عساكر: تراجم من تاريخ دمشق، الموسوعة الشامية، إشراف: سهيل زكار، دار الكتب، دمشق، **1995، ج11، ص 194.**

[45] – ابن العديم: المصدر السابق، **ج2، ص 449.**

[46] – طقوش: تاريخ الحروب الصليبية، المرجع السابق، **ص 99.**

[47] – ريمون دي جيل: تاريخ الفرنجة الذين استولوا على القدس، الموسوعة الشامية، إشراف: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، **1995م، ج6، ص 189.**

[48] – طقوش: تاريخ الحروب الصليبية، المرجع السابق، **ص 99.**

[49] – المؤرخ الجهول: المصدر السابق، الموسوعة الشامية، **ج6، ص 108.**

[50] – طقوش: تاريخ الحروب الصليبية، المرجع السابق، **ص 99.**

[51] – سرجاني: المرجع السابق، **ص 76.**

[52] – ريمون دي جيل: المصدر السابق، الموسوعة الشامية، **ج6، ص 190.**

[53] – فولتشر أوف تشارترز: تاريخ الحملة إلى القدس، الموسوعة الشامية، إشراف: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، **1995م، ج6،**

ص 337.

[54] – فولتشر أوف تشارترز: المصدر نفسه، الموسوعة الشامية، **ج6، ص338.**

[55] – ريمون دي جيل: المصدر نفسه، الموسوعة الشامية، **ج6، ص 191.**

[56] – ابن القلانسي: المصدر السابق، الموسوعة الشامية، **ج11، ص 4.**

[57] – ابن العديم: المصدر السابق، **ج2، ص 495.**

[58] – المؤرخ المجهول: المصدر السابق، الموسوعة الشامية، **ج6، ص 109.**

[59] – المؤرخ المجهول: المصدر نفسه، الموسوعة الشامية، **ج6، ص 110.**

[60] – عطية: المرجع السابق، **ص 114–115.**

[61] – ريموند دي جيل: المصدر السابق، الموسوعة الشامية، **ج6، ص192.**

[62] – ميخائيل زابوروف: الصليبيون في الشرق: تر: إلياس شاهين، دار التقدم، موسكو، **1986، ص 107.**

[63] – حومد: المرجع السابق، **ص 108.**

[64] – ريمون دي جيل: المصدر السابق، الموسوعة الشامية، **ج6، ص 193.**

[65] – ريمون دي جيل: المصدر نفسه، الموسوعة الشامية، **ج6، ص 194.**

[66] – ابن القلانسي: المصدر السابق، الموسوعة الشامية، **ج11، ص 4.**

[67] – عطية: المرجع السابق، **ص 115.**

[68] – ريمون دي جيل: المصدر السابق، الموسوعة الشامية، **ج6، ص 195.**

[69]– ابن العديم: المصدر السابق، **ج2، ص 496.**

[70] – طقوش: تاريخ الحروب الصليبية، المرجع السابق: **ص 103.**

[71] – المؤرخ مجهول: المصدر السابق، الموسوعة الشامية، **ج6، ص 111.**

[72] – حومد: المرجع نفسه، **ص 109.**

[73] – طقوش: تاريخ الحروب الصليبية، المرجع السابق، **ص103.**

[74] – عطية: المرجع السابق، **ص 117.**

[75] – المؤرخ المجهول: المصدر السابق، الموسوعة الشامية، **ج6، ص 111.**

[76] – ابن العديم: المصدر السابق، **ج2، ص496.**

[77] – المؤرخ المجهول: المصدر السابق، الموسوعة الشامية، **ج6، ص113.**

[78] – طقوش: تاريخ الحروب الصليبية، المرجع السابق، **ص 104.**

[79] – حومد: المرجع السابق، **ص 109.**

[80] – فولتشر أوف تشارترز: المصدر السابق، الموسوعة الشامية، **ج6، ص 304.**

[81] – المؤرخ المجهول: المصدر السابق، الموسوعة الشامية، **ج6، ص 114.**

[82] – فولتشر أوف تشارترز، المصدر السابق، الموسوعة الشامية، **ج6، ص 340.**

[83] – سرجاني، المرجع السابق، **ص77.**

[84] – مؤرخ المجهول: المصدر السابق، الموسوعة الشامية، **ج6، ص 114.**

[85] – فولتشر أوف تشارترز: المصدر السابق، الموسوعة الشامية، **ج6، ص 341.**

[86] – ابن الأثير: الكامل في التاريخ، المصدر السابق، **ج9، ص 14.**

[87] – ريمون دي جيل: المصدر السابق، الموسوعة الشامية، **ج6، ص 195**

[88] – سرجاني: المرجع السابق، **ص 105.**

[89] – طقوش: تاريخ الحروب الصليبية، المرجع السابق، **105.**

[90] – سرجاني: المرجع السابق، **ص 78.**

[91] – أنا كومينا: المصدر السابق، الموسوعة الشامية، **ج6، ص 47.**

[92] – أنا كومينا: المصدر السابق، الموسوعة الشامية، **ج6، ص 48.**

[93] – ابن الأثير: الكامل في التاريخ، المصدر السابق، **ج 9، ص 13–14.**

[94] – ريمون دي جيل: المصدر السابق، الموسوعة الشامية، **ج6، ص 200.**

[95] – الصلابي، علي محمد علي: دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، مؤسسة اقرأ، القاهرة، **ط1، 2006، ص 504.**

[96] – طقوش: تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقيا ومصر وبلاد الشام، دار النفائس، بيروت، **ط2، 2007م، ص 428.**

[97] – طقوش: تاريخ الحروب الصليبية، المرجع السابق، **ص 100-101.**

[98] – عطية: المرجع السابق، **ص 117.**

[99] – سرجاني: المرجع السابق، **ص 79.**

[100] – سرجاني: المرجع نفسه، **ص 80.**

[101] – طقوش: تاريخ الحروب الصليبية، المرجع السابق، **ص 101.**

[102] – القلانسي: المصدر السابق، الموسوعة الشامية، **ج11، ص 4.**

[103] – فولتشر: المصدر السابق، الموسوعة الشامية، **ج6، ص 342.**

[104] – المؤرخ المجهول: المصدر السابق، الموسوعة الشامية، **ج6، ص 120.**

[105] – المؤرخ المجهول: المصدر السابق، الموسوعة الشامية، **ج6، ص123.**

[106] – الكناني: المرجع السابق، **ص 124-131.**

[107] – الشيخ: محمد محمد المرسى: المرجع السابق، **ص 140.**

[108] – المؤرخ المجهول: المصدر السابق، الموسوعة الشامية، **ج 6، ص 126.**

[109] – ابن الأثير: الكامل في التاريخ، المصدر السابق، **ج9، ص 14.**

[110] – طقوش: تاريخ الحروب الصليبية، المرجع السابق، **ص 106.**

[111] – المؤرخ المجهول: المصدر السابق، الموسوعة الشامية، **ج6، ص 126- 127.**

[112] – المؤرخ المجهول: المصدر نفسه، الموسوعة الصليبية، **ج6، ص 127.**

[113] – فولتشر: المصدر السابق، الموسوعة الشامية، **ج 6، ص 343.**

[114] – طقوش: تاريخ الحروب الصليبية، المرجع السابق، **ص 106.**

[115] – المؤرخ المجهول: المصدر السابق، الموسوعة الشامية، **ج 6، ص 129.**

[116] – المؤرخ المجهول: المصدر نفسه، الموسوعة الشامية، **ج6، ص 129.**

[117] – ابن القلانسي: المصدر السابق، الموسوعة الشامية، **ج 11، ص 5.**

[118] – المؤرخ المجهول: المصدر السابق، الموسوعة الشامية، **ج6، ص130.**

[119] – المؤرخ المجهول: المصدر نفسه، الموسوعة الشامية، **ج11، ص 5.**

[120] – المؤرخ المجهول: المصدر نفسه، الموسوعة الشامية، **ج11، ص 5.**

[121] – ابن الأثير: الكامل في التاريخ، المصدر السابق، **ج9، ص15.**

[122] – فولتشر أوف تشارتز: المصدر السابق، الموسوعة الشامية، **ج 6، ص143-144.**

[123] – ريمون دي جيل: المصدر السابق، الموسوعة الشامية، **ج6، ص 208.**

[124] – ابن الجوزي، عبد الرحمن: المنتظم في تواريخ الملوك والأمم، الموسوعة الشامية، إشراف: سهيل زكار، دار الفكر،
دمشق، **1995م، ج11، 324.**

[125] – فولتشر أوف تشارترز: المصدر السابق، الموسوعة الشامية، **ج6، ص344-345.**

[126] – أورفا حالياً في الجمهورية التركية.

[127] – فولتشر أوف تشارتز: المصدر السابق، الموسوعة الشامية، **ج6، ص 345.**

[128] – حومد: المرجع السابق، **ص 127.**

[129] – أمير ماردين.

[130] – ابن الأثير: الكامل في التاريخ، المصدر السابق، **ج9، ص 15.**

[131] – ريمون دي جيل: المصدر السابق، الموسوعة الشامية، **ج6، ص 209.**

[132] – وليم الصوري: أعمال الفرنجة المنجزة فيما وراء البحار، تر: حسن حبشي، مؤسسة الأهرام، القاهرة، **1991، ج1،**
ص 371.

[133] – حومد: المرجع السابق، **ص 117.**

[134] – وليم الصوري: المصدر السابق، **ج1، ص383-384.**

[135] – وليم الصوري: المصدر نفسه، **ج1، ص 384.**

[136] – وليم الصوري: المصدر نفسه، **ج1، ص 382.**

[137] – فولتشر أوف تشارترز: المصدر السابق، الموسوعة الشامية، **ج 6، ص 347.**

[138] – ابن الأثير: الكامل في التاريخ، المصدر السابق، **ج9، ص 15.**

[139] – وليم الصوري: المصدر السابق، **ج1، ص 388.**

[140] – أنا كومينا: المصدر السابق، الموسوعة الشامية، **ج6، ص 54.**

[141] – أنا كومينا: المصدر نفسه، الموسوعة الشامية، **ج6، ص 54.**

[142] – وليم الصوري: المصدر السابق، **ج1، ص 391.**

[143] – أنا كومينا: المصدر السابق، الموسوعة الشامية، **ج6، ص 55.**

[144] – حومد: المرجع السابق، **ص 120.**

[145] – القرآن الكريم: سورة آل عمران، آية **159.**

[146] – ابن الأثير: الكامل في التاريخ، المصدر السابق، **ج 1، ص15.**

[147] – ابن العديم: المصدر السابق، **ج2، ص 500.**

[148] – فولتشر أوف تشارترز، المصدر السابق، الموسوعة الشامية، **ج 6، ص 344-345.**

[149] – ابن الأثير: الكامل في التاريخ، المصدر السابق، **ج9، ص15.**

[150] – وليم الصوري: المصدر السابق، **ج1، ص 398.**

[151] – الصلابي: المرجع السابق، **ص 548.**

[152] – ابن الأثير: الكامل في التاريخ، المصدر السابق، **ج9، ص 15.**

[153] – وليم الصوري: المصدر السابق، **ج1، ص401.**

[154] – ابن الأثير: الكامل في التاريخ، لمصدر السابق، **ج9، ص 15.**

[155] – وليم الصوري: المصدر السابق، **ج1، ص400-401.**

[156] – وليم الصوري: المصدر نفسه، **ج1، ص 402.**

[157] – وليم الصوري: المصدر نفسه، **ج1، ص 406.**

[158] – القلانسي: المصدر السابق، الموسوعة الشامية، **ج11، ص5.**

[159] – ابن العديم: المصدر السابق، **ج2، ص 501.**

[160] – ابن الأثير: الكامل في التاريخ، المصدر السابق، **ج9، ص 16.**

[161] – وليم الصوري: المصدر السابق، **ج1، ص 411.**

[162] – وليم الصوري: المصدر نفسه، **ج1، ص408-409.**

[163] – وليم الصوري: المصدر السابق، **ج1، ص 413.**

[164] – ابن الأثير: الكامل في التاريخ، المصدر السابق، **ج9، ص 16.**

[165] – وليم الصوري: المصدر السابق، **ج1، ص 417.**

[166] – القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية **25.**

[167] – ابن الأثير: الكامل في التاريخ، المصدر السابق، **ج9، ص14.**